

نقد كتاب حياة محمد

نشر أكثره مقالات في
جريدة الكوكب الفراء

بقلم

عبدالباقى علي النجدي القيصي

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر
شارع الخلفاء رقم ٢٥ - بيروت ٥١٥٢٢

محمد عليه السلام

ولد يتيماً في عصر اتفقت كلمة المؤرخين والرواة على أنه من أخصب العصور وأكثرها انحطاطاً من جميع النواحي الخلقية والعقلية والدينية والحكومية . عصر هو في الحق عصر الظلم والظلمات . ولد في أمة تائهة في الضلال والجهل ، تائهة في البغي والظلم ، تائهة في الشرك والكفر ، تائهة في الفرقة والاستبداد ، تائهة في القساوة والعنف ، تائهة في كل معاني الغضب والسخط .

أمة لا تدين لزعيم بزعامة ولا لحاكم بحكومة . كل رجل منها يحسب الزعيم من في برده ، والسيد من تحت خيمته .
أمة ليس لها قائد يقودها في مواطن القيادة ، وليس لها دستور يجمعها ولد هذا اليتيم في أمة بلغت وحشيتها وقسوتها أن تحفر لفلذات أكبادها فتدفنهم في الأرض أحياء أطهاراً صغاراً لا لذنوب ولا لسبب غير خوف تلك الوحوش أن يصيبوا مما يطعمون أو نما يشربون وغير توهم تلك الوحوش أن يجلبوا لهم العيلة والعار .
أمة بلغت جهالتها وغباوتها أن تعبد ما تصنع بأيديها من أحجار وأصنام وغير ذلك ، ثم إذا جاعت أكلت ما كانت تعبد وما كانت تخضع له وتسجد .

نشأ هذا اليتيم في أمة هذا بعض شأنها . نشأ وديعاً هادئاً أميناً تقياً طاهرأ بعيداً عن كل هذه الشرور والآثام ، بعيداً عن كل هذه الأمراض الاجتماعية والخلقية ، بعيداً عن ذلك كله حتى لم يستطع التاريخ الحفيظ

الاهراء

الى الذين يتفقون الحق لوجه الحق ومده

طبق الاصل من كتاب
حياة محمد

المؤلف

ان يحفظ له غلطة او كذبة او جريمة، وذلك كله عند قومه، حتى ضرب به المثل في الطيب والصلاح والاستقامة، وحتى سماه قومه بحق (الأمين) نشأ هذا اليتيم وشب وصار رجلاً وبلغ أربعين سنة. بلغ هذا العمر كله وهو كما ذكرنا نقاء وطهارة وطيباً وأمانة. أنفق هذا العمر كله أمياً لم يقرأ كتاباً ولم يدخل مدرسة أو يتلق من معلم ولم يخط بقلم أو يقل بيت شعر أو يؤلف خطبة أو رسالة، بل ولم يشارك قومه في شيء من أشعارهم وتفاهيرهم بها ولم يحاول يوماً أن يكون خطيباً أو بليغاً أو غير ذلك من أصناف القائلين

أنفق هذا العمر كله خالياً من كل شيء إلا من الطيب والاستقامة والرحمة. خالياً من كل شيء إلا من الخلق المرضي ومن الوداعة والهدوء. أنفق هذا العمر كله كما ذكرنا وفوق ما ذكرنا

ثم فجأة وعلى غير رقة قام في قومه الذين لم يعرفوه إلا صدوقاً أميناً، في قومه الذين لم يعهدوه إلا باراً نصحاً تقياً، في قومه الذين لم يجدوه قوالاً ولا خطيباً، ولا شاعراً ولا مفاخرراً، في قومه الذين لم يحفظوا له في عمره كله غلطة من الغلطات، في قومه الذين لم يروا منه حرصاً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا، في قومه الذين يعرفونه كما يعرفون أنفسهم حياً خجولاً، خائفاً للعواقب، في قومه الذين يعرفونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يقرض شعراً أو يخطب

ثم فجأة وعلى غير رقة قام في قومه هؤلاء صائحاً فيهم منادياً في نواديهم: أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، أيها الناس إن الله أراد رحمتكم وأراد إصلاحكم، إن الله أراد أن يقذفكم مما أتم فيه من

وثنية وشرك، إن الله أراد أن يطهركم من هذا البلاء تطهيراً، إن الله أراد بكم كل خير وكل سعادة فأرسلني إليكم فأطيعوني تسعدوا، أطيعوني تملكوا الدنيا، تملكوا من ملكوكم، تملكوا أولئك الذين طالما اتخذوكم لهم عبيداً وخولاً، والذين طالما أذلوكم، وطالما سقوكم الذل أنواعاً.

ثم فجأة وعلى غير رقة قام صائحاً في قومه: أيها الناس إن الله أنزل على كتاباً به نبأ الأولين والآخرين، به ما كان وما سيكون، به أخبار الأنبياء والمرسلين، كتاباً جمع من الحقائق والتواريخ الصائبة الصحيحة ما لا يعلمه علماء الأرض الذين ردت إليهم زعامة الديانات، وزعامة التواريخ، والذين قضوا أعمارهم بين أحشاء الكتب في أرقى أمم الأرض حضارة وعمراناً. كتاباً يصحح لأهل الأرض جميعاً أغلاطهم وأخطأهم ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. كتاباً به من القوانين والديانات والشرائع ما يبقى على الأيام وما يرضى كل زمان ومكان. كتاباً به من العلوم، علوم الأرض والسماء، علوم الماء والهواء، ما لا تستطيع الأيام على مرورها وكرورها أن تبطل عليه نظرية واحدة، أو تنقض عليه حقيقة واحدة. كتاباً به من قوانين الأخلاق وقواعد علم النفس ما لا يعلمه أحد من أهل الأرض، وما لا تزيد الأبحاث والتجارب إلا قوة وثبوتاً. كتاباً أتحدى به الناس جميعاً، أتحدى به النوع البشري كله، أتحدى على أن يجاروا ألفاظه أو معانيه، أو يبطلوا عليه نبأ من أنبأه عن الغيب، أو عن العلوم، أو عن التواريخ، أو عن أصل الخليقة أو عن الكتب التي بين أيديهم، أو عن الله، أو عن ملائكته، أو عن الآخرة وما فيها من سعادة وشقاء، أو عن كل شيء. أتحدى الناس

جميعاً على أن يأتوا بمثله أو بما يقاربه ، أو بما يبطله ، وأنا أمهلهم سنة وستين ومئات السنين ، ولهم أن يستعينوا بمن شاءوا من الأنصار والجنود . كتاباً يقول لا بد من أن يكون كذا فيكون كما قال وكما حدث . كتاباً يقول لا بد من أن يكون له الغلب ولمن عمل به أخيراً فيكون كما قال وكما حدث . كتاباً لن تستطيعوا أتم وأهل الأرض جميعاً على أن تفنوه أو تمحوه من الوجود ، بل ولا أن تمحووا حرفاً منه ولو انفقتم كل قواكم وجهودكم لذلك ، وليس له من نصير وحام غير الله الذي أنزله . كتاباً خالداً في الناس ما خلد الليل والنهار ، باقياً في الناس ما بقى في الأرض حق وباطل ، وما بقى خير وشر

نعم . ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه بهذا الصوت الداوي ، بهذا الصوت المفاجيء الغريب عن تلك الأصوات التي ألفوها ، بهذه الدعوة الغريبة عن تلك الدعوات التي عرفوها .

فماذا كان؟

فماذا كان من قومه إزاء هذه الدعوة وإزاء هذا الداعي؟ ما كان منهم إلا التكذيب لما جاء به جملة والانكار جملة . وما كان منهم إلا الجحود لما جاءهم به من حق ومن هدى . جهوه بالكفر والعناد . جهوه بالمساءة والإيذاء . أنكر ما جاءهم به كبيرهم وصغيرهم ، أحرارهم وعبيدهم ، قريتهم وبعيدهم . رموه كلهم عن قوس واحدة وبقوس واحدة . كذبوه بعد أن كان عندهم الصادق الصدوق ، خونوه بعد أن كان الأمين المأمون ، ذموه وقد كان عندهم المحمود الممدوح . أجمعوا كلهم على

حربه ومناواته وهو وحيد مفرد . وحيد إلا من الحق وإلا من عناية الحق . هجموا عليه بأسلحتهم المتنوعة وهو أعزل إلا من كتاب ربه وإلا من دين ربه . قامت أمة بأسرها مشهود لها بالعناد وشدة الشكيمة وبالقساوة التي لا تعرف لينا . قامت هذه الأمة بأسرها في وجه هذا الوحيد المفرد الأعزل من كل سلاح قاتل مميت . قاموا في وجهه ووجه دعوته . حاربوه بالسنان واللسان ، بالقوة والبيان . قالوا إنه ساحر ، وقالوا كذاب ، وقالوا مجنون ، وقالوا ضال ، وقالوا دجال زائغ ، وقالوا فيه كل ذم وقدح في كل قلب من قوالب بيانهم وبلاغتهم

فماذا كان؟

فماذا كان منه أمام هذا البلاء؟ كان منه أنه لم يضعف أمام شيء من ذلك ، ولم يهن لشيء من ذلك ، بل ولا فكر في أن يهون أو يضعف أمام هذا الأذى الذي لا يصبر عليه إلا مثله من عباد الله . بل كان يزداد إيماناً بدينه وثباتاً على دعوته ومبدئه كلما ازدادوا في أذاته وفي التجنى عليه في سبيل إيمانهم بباطلهم . وكان يزداد بهم رحمة وشفقة . كلما ازدادوا به قسوة وغاظة . وكان يبكي عليهم كلما ضحكوا سخريته منه وتنادر آبه . وكان يشهد في سبيل إحيائهم كلما اشتدوا في سبيل إهلاكه ، ويسعى لحياتهم كلما سعوا للمماته . وكان يتمنى صلاحهم كلما تمنوا فساده . كانوا يضربونه ويسيلون منه الدماء فيقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . . .

وكان إذا أسرفوا في عذابه وإرهاقه وأرسل الله إليه ملكاً يقول له :

أتحب أن نهلك قومك عامة ، يكون جوابه : « لا . إني لأرجو أن يخلق الله من أصلابهم من يعبدون الله لا يشركون به شيئاً » وكان إذا لجوا في الضلال والاعتداء فأصابهم الله بعذاب كقحط أو نحوه انتقاماً لرسوله جاءوه يطلبون منه الشفاعة لهم عند ربه الذي غضب له . فما يكون منه إلا أن يرفع يديه إلى السماء يدعو الله لهم ويخلص في الدعاء هكذا كانت حال رسول الله ، وهكذا كانت حال قومه : يمتطرونه عذاباً ، ويمطرهم رحمة . يريدون به شراً ويريد بهم خيراً . وهكذا كان يضرب للإنسانية أروع الأمثال في التسامح والعفو ، في الثبات على العقيدة والمبدأ الحق ، في مناهضة الباطل والضلال ، ثابتاً أمام هذا البلاء المستطير العنيف ، لا أقول ثبوت الجبال أمام الرياح الزعازع ، ولكن أقول ثبوت الإيمان القوى أمام الكفر . فلا أتبت من الإيمان القوى ولا أقوى منه على منازعة الشر والاضطهاد . . . يدعو إلى الله في وسط هذه الموجات الهوج . يدعو إلى الله هؤلاء القوم العتاة البغاة الأعوام تلو الأعوام فلا يئس ولا يقنط على رغم ما يلقي من المؤسسات المقنطات . يبدى من ضروب التضحية والمثارة ما لا يوجد عند الأيام والليالي .

هكذا كان والله يمهده بأنواع الآيات ، ويعزز دعوته بضروب الدلائل والمعجزات . يبدى له كل يوم ما يكفي من جانب الهوى دليلاً على صدقه وصحة دعواه ، دليلاً على أنه عبد الله ورسوله بعثه بالرسالة العامة والشريعة الخاتمة . . . الطبيعة !!! . . . الطبيعة نفسها لم تعصم من أن تسخر لمحمد ولتعزير دعوة محمد ولييان فضل محمد . وما تكون

الطبيعة الصماء الخرساء في جانب « محمد » . محمد الذي فتح الله به الآذان الصم والعيون العمى . أوليس وجود محمد نفسه قضاء على ناموس الطبيعة . فليس من الطبيعة أن يخرج من جزيرة العرب ، تلك الجزيرة الجذباء المحرقة ، أمي يقلب نظام العالم كله . . . حتى الطبيعة نفسها لم تستطع أن تعصم نفسها من أن تتصرف لفائدة محمد ودعوة دين محمد ، حتى شق له القمر وأجرى له الماء من بين أصابعه وأنظقت له الجمادات والحيوانات إلى غير ذلك من المعجزات .

كل ذلك إغذار من الله إلى أولئك الأقسام ، وكل ذلك إقامة للحجة عليهم ، وكل ذلك لئلا يقول فريق يوم القيامة ، يوم القاء المعاذير والحجج : يا ربنا ما جاءنا هذا النبي بدليل مادي على نبوته وعلى اختصاصك إياه بالرسالة . ونحن لا نعقل من الدلائل إلا المادي الحسي . وأما الدلائل العقلية فهي لغيرنا ، لمن ميزتهم يا ربنا علينا بالعقول الراجحة الثاقبة

وكل ذلك ، وأولئك الأقسام الكفار بمحمد في حيرة مما يرون ، في حرب مع أنفسهم من مسألة محمد ونبوة محمد . وكل ذلك ، والشك والكفر ينصهران في صدور القوم شيئاً فشيئاً . وكل ذلك ، والباطل ينزاح من رؤوسهم اليوم بعد اليوم . وكل ذلك ، وجلد محمد يذيب شركهم وعنادهم الساعة بعد الساعة واللحظة بعد اللحظة . وكل ذلك ، وإشراق شمس محمد يبدد ليل ضلالهم حيناً فحيناً . وكل ذلك ، والحق يعلو والباطل يسفل ويهوى

ثم ماذا؟

ثم ما انقضى بضع وعشرون عاماً حتى أصبح هذا اليتيم صاحب الكلمة النافذة في أولئك الذين أذاقوه العذاب أنواعاً، وحتى أصبح السيد المطلق في تلك الجزيرة الواسعة العنيدة، وحتى أصبح أعظم ملوك الأرض تخشاه وتنقطع مرائرها خوفاً منه، وحتى أصبحت كلها تمد له يد المسالمة رغبة ورهبة، وحتى نفذ ما كان يرجو تنفيذ بعضه، وحتى حقق كلها أراد تحقيقه وكلها جاهد في سبيله، وحتى قضى على كل رأى لا يرضاه أو لا يرضاه الله، وحتى أصبح من كانوا يسعون لقتله يقتلون أنفسهم لا حياتهم، وحتى أصبح هؤلاء الأعداء الألداء كل منهم يرى السعادة التي لا تفوقها سعادة أن يظفر بنظرة منه، وحتى وضع شريعة باقية على الدهر، وأنشأ أمة معدة لتحطيم أعظم أمم الأرض، وحتى ألف من شذاذ العرب والأعراب الذين ما كان التاريخ يعبا بهم أو يعبا ببلادهم لصغارهم وهو انهم. ألف أولئك الأبطال في كل معاني البطولة، أولئك الأبطال الذين تزهى بهم صفحات تاريخ الإنسانية، وحتى أخرج من أولئك الأعراب الحفاة الجفاة معلمين لروما وأثينا، مؤدبين لحكام بينظلة وفارس والهند، وحتى فجر صخور تلك الصحراء الجرداء ينابيع عذاباً، وحتى أعاد تلك الصخور والرمال عيوناً تجرى بماء الحكمة والفلسفة والعلم والعدالة، وحتى جعل تلك البقعة الجرداء المحرقة متجه أنظار العالم، وحتى غير مجرى التاريخ العالمي وقلب نظامه بسرعة لم يعهد لها نظير وبقوة لم يكن لها مثيل.

فماذا عمل؟

ثم ماذا عمل؟؟ وإلى أي وجه ذهب بعد هذا الفوز وبعد هذا الفتح المبين وبعد هذا النصر التام؟! الجواب: أنه ظل كما بدأ مجاهداً صابراً على جهاده متواضعاً جم التواضع زاهداً جم الزهد سهلاً لطيفاً كما كان وكما خلق، لم يغير مآثله من سلطان وقوة وجاه من أخلاقه شيئاً، لم يكسبه ذلك إلا الحمد لله ومواصلة عبادته وكثرة تواضعه لمن آمن. والنفس العظيمة عظيمة أبداً، عظيمة في الرخاء كما هي عظيمة في الشدة، عظيمة في القوة كما هي عظيمة في الضعف. والذهب هو الذهب وإن كان في يد الصائغ مذاباً.

فما حفظ عليه أنه اتقن لنفسه بمن أذاقوه البلاء أشكالاً، ومن أجلبوا عليه بكل أنواع الشر والنقمة، ولا حفظ عليه أنه آثر نفسه على من آمن به بشيء من الأثرة، ولا أنه رغب بنفسه عن أنفسهم، ولأنه استباح لذاته ما حرم عليهم، ولا أنه ركن إلى الدنيا بعض الركون أو حاول جمعها، وكان على ذلك قادراً. بل لقد كان يزداد بعداً عن الدنيا والمال كلما ازدادت الدنيا والمال إليه قرباً. حتى لقد خرج منها كما دخلها لم يدع ديناراً ولا درهماً، وحتى خرج منها وسلاحه مرهون لليهود على طعام أهله الضروري.

أعطاه الله تلك الدنيا بعد الجهاد الحاد والبلاء الحاد. فما أعطى تلك الدنيا من نفسه شيئاً. وقد باعها كلها للحق. والنفس الكبيرة

أعظم من أن تكون ثمناً لدنيا أو لرئاسة . وما خلقت الدنيا إلا لتكون من خدمها

ظل يرى الناس مالم يسمعوا به من أمثال الزهد والورع والتضحية والشجاعة والإيثار والمساواة والعدالة ما جعلهم يترامون على طاعته والدخول في دينه وعلى التفاني في حبه ترامياً ، وما جعل الأعرابي العنيد الأبي يقف أمامه قائلاً بشيء من الزهو والفخر والسرور : يا محمد والله لو أحببت أن أقطع رأس والدي لقطعته ولو وضعته بين يديك . ظل يرى الناس - والدنيا في يمينه وشماله - من أمثال الرجولة الكاملة والنبوة الخاتمة ما جعل أولئك العرب يطلبون الموت تحت راية الحق طلب الناس الحياة تحت راية الباطل ، وما جعلهم يحرضون على الفقر حرص الناس على الغنى ، وما جعلهم يتبارون في الإيثار تبارى الناس في الأثرة

ظل يضرب لهم هذه الأمثال حتى خرج من الدنيا والدنيا لا تعرف غير محمد وأمثال محمد ، وحتى خرج من الدنيا والناس لا يعرفون غير محمد وغير فضل محمد ، وحتى ظل العربي الذي يحب الحياة يعاقب الموت الزؤام باسم الثغر راضى النفس يحفزه ما يتصور في مخيلته من جهاد محمد وشجاعة محمد ، وحتى ظل العربي يدخل على أعظم ملوك الأرض جبروتاً وسلطاناً وفتكاً غير حاسب إلا أنه رجل من سائر خلق الله ، وذلك لما بقي في رأسه من أمثال محمد في عزة النفس وفي إباء الضيم وفي تعظيم الله وحده ، وحتى ظلت الفئة القليلة من المؤمنين تتاجز الجموع المعدودة بمئات الألوف غير حاسبة إلا أنها في قبضتها

وغير حاسبة إلا أنها آخذة بناصيتها ، وذلك لأن محمداً ضرب لها المثل الأعلى في الاعتداد بالنفس اعتماداً على الله فقاوم أهل الأرض كافة ، وهو موقن بالنصر ، موقن بأن العاقبة له فكان له ما أيقن وكان له ما قدر ، وحتى كان الأعرابي الفظ يسمع الآية الزاجرة فيصعق فرقاً من النار ويسمع الآية في الرحمة فيطير لبه شوقاً إلى الجنة

خرج من الدنيا مخلفاً وراءه أولئك الجنود ، أولئك الملائكة في صور الناس . لا أقول الملائكة . فليس هنالك أفضل من أن أقول : مخلفاً أولئك الصحابة . فإني الألفاظ لفظ يتحمل من معاني العظمة والبطولة مثل ما يتحملة لفظ الصحابة ، وليس هنالك في الألفاظ لفظ يشرف على لفظ الصحابة بعد الله ورسوله . خلف وراءه أولئك الصحابة الأبرار بعد أن هذبهم بمدرسة السماء ، بمدرسة النبوة الخاتمة . مدرسة مادتها كلام الله ومدرستها ورئيسها محمد عبد الله ورسوله .

فأية رسالة أدوها؟

فإذا عملوا بعده وأية رسالة أدوها في الأرض ؟! الجواب : أنهم أغاروا على أطراف الأرض يحطمون أوثانها وأصنامها ، يحطمون طواغيتها وأربابها ، يحطمون ما يحجل به الناس في ذلك العصر الموبوء من بلاء وعسف ، من هوان ووثنية ، من خرافات حطت الانسانية عن مستوى البهائم قزوناً وقزوناً . أغاروا على هذا البلاء وقد علمهم عبد الله ورسوله كيف يغيرون وكيف يغزون . أغاروا على ذلك . بماذا أغاروا ؟! لا أقول بالطيارات ولا الدبابات ولا الغواصات ولا الرشاشات

ولا الغازات الخائقة ولا بغير ذلك من أنواع السلاح القاتل . لا أقول بشيء من ذلك ، ولكني أقول إنهم أغاروا بقلوب !! بقلوب مخلصنة مؤمنة وكفى !! وبدعوة تحل القلوب قبل أن تجل الأسماع . فليس في أنواع السلاح وعدد الجهاد أمضى من القلوب المخلصنة المؤمنة ، وما في الأرض أسرع احتلالاً للبلاد واستعماراً لها من الدعوة الصالحة المعقولة إذا ما قام بها رجال مخلصون عاقلون . أغاروا على هذا البلاء بهذه القلوب المخلصنة المؤمنة تحمل هذه الدعوة المعقولة الصالحة !! وأي مخلوق رزق شيئاً من العقل والانصاف لا يلي تلك الدعوة ولا يجيب لذلك النداء !!؟

أجابت كل البلاد التي وصلوها ووصلتها دعوتهم . وما أجابت الدعوة وحسب ، بل إنها نسيت جميع مقوماتها مندجة بدعوة أولئك الصحابة ، مندجة في مقوماتهم . تركت أديانها وأزياءها ولغاتها وعاداتها أخذة بدل ذلك دين الصحابة ومقومات الصحابة .

فماذا طامه ؟

كان أن أنقذوا الإنسانية المعذبة ، أنقذوا الأخلاق ، أنقذوا العقول ، أنقذوا الديانات ، أنقذوا الرؤساء والمرعوسين ، أنقذوا البهائم ، أنقذوا كل ذى روح ، أنقذوا أولئك كلهم من ذلك البلاء ، البلاء الذي فرضته عليهم أنانية الرؤساء الطاغين ، وفرضه رجال الكهنوت والجهل والحقائق . أنقذوهم من ذلك كله ، ثم أذاقوهم طعم الحرية . أروهم كيف تكون الديمقراطية ، كيف تكون العدالة . عرفوهم منزلة

المخلوق من منزلة الخالق . عرفوهم حق الله وحق عباده . أروهم ذلك كله بأكل صورته ، وقد كان عندهم مجهولاً ، وقد كانوا لا يعرفون منه شيئاً . وما زال الناس من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يستضيئون بنور هؤلاء الصحابة ، وما زالوا يقبسون من تلك المشاعل العربية الحمديدية . وكل حضارة ومدنية توجد اليوم هي في الواقع متولدة من تلك المدنية العربية بواسطة أو بواسطة عديدة . وسوف يظل الناس إلى يوم البعث يجنون من تلك الدعوة كل على قدر استعداده .

هذه هي حياة محمد ، وهذا هو محمد عليه السلام مصوراً بقدر استعدادنا نحن لا بقدره هو . فما ترى في هذه الحياة من المعجزات والسمو ؟! وما ترى في هذا اليتيم العربي الأعمى من المعجزات والسمو ؟! حياة كلها معجزات وسمو . حياة سلسلة من العظمة والبطولة ، بطولة النبوة لا بطولة الرجولة فقط !! حياة لا يستطيع أحد أن ينكر عظمتها . المؤمن بنبوته يعظم فيها النبوة والعظمة ، والكافر بنبوته يعظم فيها البطولة والرجولة التامة . فالناس لا يختلفون في تعظيم هذه الحياة ، والناس لا ينكر منهم أحداً ما عليه لهذه الحياة من فضل ومن منة . إذن ليكتب الكاتبون في عظمة هذه الحياة . كل يكتب على قدر استعداده وعقيدته ، وعلى قدر إيمانه . وليكتب « الدكتور هيكل » إذن في هذه الحياة ، ولنكتب نحن بعض أغلاط هيكل ولننكر ما يدخل في هذه الحياة من غلط فإن الغلط في فهم العظيم هو في الواقع غلط في العظمة

الدكتور هيكل

الدكتور حسين هيكل واسع الثقافة، كثير القراءة مسموع الكلمة، فإذا ما كتب كانت فائزته عظيمة، وكان نفعه عاماً. ومن هذا فسوف تكون الفائدة في كتاب حياة محمد عظيمة وسوف يكون نفعه عاماً ولقد صادف رواجاً حسناً، وصادف مدحاً لا بأس به. وقد التهمه العالم الاسلامي التهاماً، واعتنى به أفضل عناية، وقرظه جميل التريظ. وإن يكن هذا دالاً على شيء فإنه يدل على ما للدين وللكتابة في الدين من المكانة في النفوس وعلى تعلقها به تعلقاً يحمل المتشائم على التفاؤل والرضا، كما يدل على مكانة الدكتور هيكل في نفوس العالم العربي. وكما يفرح المؤمنون برواج كتب الدين، وكما يعجبهم انتشارها وكثرة قراءتها، فإن في ذلك من القضاء على الحاد والتفكير عنه ما فيه، كما أن فيه ترغيباً وحفزاً لكتابنا الاعلام العصريين أن يواصلوا الكتابة في الدين وفي الدفاع عنه وأن يرغبوا في ذلك. لهذا اغتبطنا برواج كتاب حياة محمد اغتباطاً كثيراً.

وقد وفقت لقراءة فصول الكتاب فوجدت الحسنات التي اشتمل عليها غنية عن أن نشيد بها، وقد أشاد بها المشيدون قبلنا، وقد أشاد بها أصدقاء الدكتور. وإنما ألفت بعض ماخذزل فيها القلم فكان التنبه عليها واجباً كي يقرأ منها الكتاب في الطبقات الآتية إذا ما اقتنع الدكتور بها.

لم يقدح المسامحة في عيسى

قال في ص ٣: « واستعر القتال بين أتباع عيسى وأتباع محمد قروناً وقروناً متتالية، ولم يقف القتال عند حرب الأسلحة والمدافع بل انتقل كذلك إلى ميادين الجدل والنضال الكلامي، جاء المتقاتلون فيها بأسماء عيسى ومحمد، وجعل كل فريق من انتقاص رسول الفريق الآخر وسيلة لتأليب السواد واستثارة حماسة الجماهير وتعصبا »

ونحن لا نعلم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى عليه السلام ولا قدحوا فيه، بل يرى المسلمون أن انتقاص عيسى أو غيره من أنبياء الله كفر بواح ومفارقة لملة الاسلام، بل المسلمون يعلنون كافة أن القرآن الكريم قد طهر عيسى وطهر كل رسول من كل رجس وعيب أضافه إليه أهل الضلالة. والآيات القرآنية في الثناء عليه ونفي كل تهمة عنه عديدة ليس المقام في حاجة إلى سردها. على أن العجيب أن الدكتور قد ذكر هذا المعنى بعد أن ذكر ما نقلته لك. فلا ندري ماذا يريد بانتقاص المسلمين عيسى كما لا ندري متى ألبوا السواد على أصحاب عيسى بالقدح في عيسى.

والمسلمون، وإن اختلفوا في مسائل من أمهات الدين، فقد اتفقوا جميعاً على وجوب تعظيم الأنبياء وتبرئتهم من كل ما يشين وما يصم. فلا نستطيع إذن أن نفهم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى أبداً.

اساس الديانات السماوية كلها التوحيد

وقال في ص ٦ : « فالنصرانية تقول بالتثليث والاسلام ينكر ما سوى التوحيد أشد انكار » .

وقال في ص ٨ : « تقول المسيحية بالتثليث وبأن عيسى ابن والاسلام ينكر انكاراً صريحاً باتاً أن يكون لله ولد »

ونحن نخالف الدكتور ونقول : إن الاسلام والنصرانية لم يختر على أساس العقائد ولا في ان عيسى عبد الله ورسوله وأن الله فرد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولا جاءت النصرانية بالتثليث ولا قالت إن عيسى ابن الله جل الله عن ذلك . وإنما قال ذلك النصار أو من يدعون أنهم نصارى ، وفرق بين النصرانية وبين من يدعو اعتناق النصرانية ، كما أن هنالك فرقاً عظيماً بين الاسلام وبين من يدعو الاسلام أو من يحسبون على الاسلام أو من يقولون إنهم مسلموا والأديان السماوية لم تختلف مطلقاً في وحدة الله وفي أنه ليس له شريك ولا ند ولا ولد . فلا النصرانية ولا غيرها قالت ما ذكره الدكتور جوزته

وليس للدكتور أن يقول أو يقول من يدافع عن الدكتور : إن أعني بالنصرانية النصارى . كما أنه ليس لأحد أن يقول : إن الاسلام داء خمول وكسل وهوان وضعف وذلة وتفرق وإن كان ذلك كله وأكبر منه قد جاء من أهله ومعتقيه . فلن نؤخذ النصرانية بما عمل من يدعون

اتباعها ، كما لا يؤخذ الاسلام بما جناه أهله عليه وعلى انفسهم من شر وبلاء . وليس بجائز أن يسب الدين بما اقتترفه من يعزون اليه ومن يعدون عليه .

مذهب وحدة الوجود والاسراء

وقال في ص ١٥٨ : « ففي الاسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو . معنى أكبر من هذا الذى يصورون والذى قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل . فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الاسراء والمعراج وحدة الوجود بالغة كمالها

« لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمتنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة

« تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله الى أبده وصوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل والجمال والحق في مغالبتها وتغلبها على الشر والنقص والقيح والباطل بفضل من الله ومغفرة

« وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الانسانية . فإذا جاء بعد ذلك من اتبعوا محمداً من عجز عن متابعتة في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه

« والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات . وبلوغنا الحقيقة معرض دائماً لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تحطيمها ،

ولعلنا لا نعلم حقاً ولا نركب باطلاً إذا قلنا إن هذا الغلو والاطراء في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم بما يباهه الاسلام ومما تأباه بساطة الدين وروح الدين الساذجة البريئة ، بل بما يباهه القرآن الكريم أشد الالباء ويراه من الإسراف الذي يرفع المخلوق فوق مستواه ويأباه الرسول لنفسه كما أن الواقع يباهه ولا يمكن أن يرضاه .

وقد وصف القرآن محمداً عليه الصلاة والسلام أجمل وصف وأبعده من نقص وغلو، ووصفاً يرفعه عن مقام سائر الناس ولا يرفعه إلى مقام الألوهية الأعلى ، فقال (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد . فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنتم ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) وقد كان عليه السلام كثير الخوف على أمته من أن تغلو فيه وأن ترفعه فوق مستوى البشرية . ودكتورنا يقرر هذا في مواضع من كتابه .

وكان عليه السلام : « يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . بل لقد أغضبوه يوماً إذ قالوا له : أنت سيدنا وابن سيدنا وقال لهم : « أيها الناس . لا يغوينكم الشيطان فما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله »

وليس يخاف على الدكتور أن الغلو في الأنبياء والأولياء والملائكة

هو أساس الوثنيات القديمة والحديثة ، وهو جرثومة الإشرار الذي وصم جبين الإنسانية وصمة عار وسبة لن يحوها ما جاء به الإنسان على مر الدهور من أمور تدل على عقل وذكاء ومعرفة . فلا ندرى من أين للدكتور أن روح محمد قد اجتمعت فيها وحدة الوجود كله ، كما لا ندرى معنى ذلك ولا معنى وحدة الوجود ، ولا إن للوجود وحدة ولا أحسب دكتورنا الفاضل ينحى بكلامه وعباراته منحنى القدامى من صوفية المسلمين وباطنيتهم الذين يطلقون أمثال هذه الكلمات اطلاقاً ويرسلونها ارسالاً أحفظ عليهم صدور المحافظين من علماء الأمة . وهل يمكن أن نفهم أو هل يمكن أن يفهم صاحب « حياة محمد » أن الخالق والمخلوق وحدة أو أن الخالق والمخلوق واحد . لأن ذلك هو الوجود الذي يمكن أن يتناوله كلام الدكتور ، أو هل يمكن أن نفهم أن لمحمد وغيره من مشركي الناس ومؤمنهم وحدة في الوجود والمصدق .

لا يعلم الغيب الا الله

على أن الذي لانستطيع له اقراراً ولا قبولاً قوله :

« تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوره في تطور وحدته إلى الكمال »

والذي نستطيع أن نقوله وأن نقابل به كاتبتنا ، هو أن محمداً عليه السلام ما كان ولا كان غيره من خلق الله واعياً للكون كله ولا عالماً بالغيب من الأزل إلى الأبد ، ولا اجتمع كل الكون ولا نصفه بل

ولا عشره في روح محمد ونفسه . والآيات القرآنية المصروفة باختصاص الحق سبحانه بعلم الغيب معروفة لكاتبنا ولقارئنا وليست في حاجة إلى اثباتنا

وحسبنا أن ثبت هنا آيتين اثنتين : قوله (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسئ السوء إن أنا إلا نذير وبشير)

على أن قوله هذه يناهيا قوله في ص ٤٨٩ « غياة محمد انسانية بحثة بلغت أسمى ما يستطيع الانسان أن يبلغه ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارع أصحابه بذلك ذلك بأنه يريد ألا يعبد أحد إلا الله وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه الخ . . »

أليس هذا الموقف مما يدعوننا إلى العجب وإلى مساءلة الدكتور زيادة البيان . والحق أن الدكتور كان محباً لرسول الله مغالياً في حبه ، حين كتب القطعة الأولى ، وأنه كان محباً للتوحيد غالباً في حبه ، خائفاً على التوحيد غالباً في خوفه ، حين كتب القطعة الأخيرة . والحب إن لم يقيد بقيد البرهان والعقل ، كان جموحاً بصاحبه ، وكان عنيفاً ، بل كان ضاراً

وهذا الوصف الذي وهبه للرسول من تلاشي الوجود ، وتبدد حجب الزمان والمكان من أمامه ، واجتماع الكائنات في روحه ، يناقض ما يرتئيه الدكتور من نفي الخوارق والمعجزات المادية غير

القرآن ، كما سوف أطلعك على ذلك بحول الذي لا يعلم الغيب غيره وياليت شعري كيف اتفقت هذه المقالة لكاتبنا ، وهل اتفقت له من العقل أو من النقل ، ولا ندرى أن واحداً منهما يقبلها أو يجهزها .

هل ينكر الدكتور الاسراء والمعراج ؟

والذي نخشاه أن يكون هذا القول قد تضمن نفي الاسراء والمعراج . فانه إذا كان للكون وحدة أو اذا كان الكون كله واحداً مجتمعاً في روح محمد صلى الله عليه وسلم وفي صدره كما يريد كاتبنا لم يكن هناك حاجة الى أن يسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، أو يعرج به من الأرض الى السموات العلى ، بل لم يكن ذلك مستطاعاً ولا معقولاً ، لأن المسجد الحرام والمسجد الأقصى كلاهما في روح محمد وكلاهما شيء واحد ، ولأن السماء والأرض شيء واحد وكلاهما في روح محمد .

فهل يمكن أن يعرج به أو يسرى به إلى شيء هو في روحه ومعه ؟ ! وهل لدى الدكتور من حل لهذا ؟ !

وأنا لا أرى الاسراء والمعراج في حاجة إلى كل هذه الفلسفة ، وإلى كل هذا الامعان في البحث للوصول الى الايمان بهما ، والحصول على مغزاهما . فالله على كل شيء قدير ، يفعل ما يشاء ، ولا مانع لما أراد باعتراف كاتبنا واعتراف كل من يؤمن بالله .

ونحن نرى كل يوم في حادثات الأرض والسماء ، ما هو أغرب من الاسراء والمعراج وأدل على القدرة

ولقد كادت علوم هذا العصر تمحو حروف « مستحيل » من قائمة الموجودات !!

معجزات محمد المادية ومنطقه الدكتور

وقال ص ٤٨٩ « ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارع أصحابه بذلك . ذلك بأنه يريد أن لا يعبد أحد إلا الله وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه . وذلك ما دعا أبا بكر ، حين خطب الناس إثر وفاة النبي والناس مختلفون : أمات أم لم يموت ، إلى أن يقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

« وهذا الذي جرى عليه النبي وقام به أبو بكر يوم وفاته هو ما حال بين كثير من علماء المسلمين وكتابهم والوقوف عند ما أضيف إلى سيرة النبي من خوارق وضعها بعض الغلاة مضاهاة لما ورد في القرآن عن عيسى وموسى أو دسها من دسوا الاسرائيليات على الاسلام ونبهه ليزيغوا بها العقائد وليبعثوا بها الشك إلى نفوس من يؤمنون بأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً . وما كان محمد بحاجة الى الخوارق لاثبات رسالته وقد كانت حياته قبل الرسالة كلها التضحية في سبيل الله وفي سبيل الحق الذي بعثه الله به »

يصر الدكتور كل الاصرار على نفي المعجزات وتكذيبها إذا

ما استثنينا القرآن . يصر على ذلك اصراراً باتاً ، ويذكر على هذا النفي وعلى هذا الاصرار على النفي من الأسباب ما لا يستطيع الوقوف أمام البحث .

ولكن الواقع والدراسة الصحيحة يصران على خلاف ما أصر عليه الدكتور . يصران على اثبات المعجزات اصراراً باتاً صريحاً .

اقرأ في أى كتاب تناول حياة محمد عليه السلام بأسهاب أو باختزال وانظر ما ذا يقص عليك بالأسانيد الثابتة الصحيحة من المعجزات التي خص الله بها رسوله وعزز بها دعوته . وانظر ماذا تجد من أنواع هذه المعجزات ، ثم اختر هذه الطرق لهذه المعجزات وانظر هل تجد فيها طريقاً ضعيفاً أو هل تجد فيها راوياً كذاباً غاشياً للدين وللعلم وللحق يمكن أن يدس في ذلك حسب هواه وما يميل اليه ؟! أو هل تجد راوياً إلا ثبتاً فيما يقول وما ينقل ؟! اقرأ في البخارى وفي كتاب مسلم أصح كتب الرواية أو في مسند الامام احمد أو في أبى داود أو في الترمذى أو في أى كتاب حديث : اقرأ في ذلك ثم امتحن ما قرأت وناقشه الامتحان ، وحاسب ما قرأت وناقشه الحساب ، وسلط عليه ما علمت من قوانين البحث والدراسة الصائبة وانظر بماذا تخرج وعلام تخرج .

بل اقرأ في أى كتاب من كتب السيرة : ابن هشام أو الواقدي أو ابن جرير أو ابن كثير أو ما شئت واقرأ في أى كتاب تفسير للقرآن على أى وجه كان ذلك التفسير ، وعلى أى مذهب كان صاحبه .

بل اقرأ كتباً وضعت خاصة بما يصير الدكتور على نفيه . كتباً وضعت في معجزات النبي العربي وسميت علامات النبوة ، وذلك ككتاب علامات النبوة للبيهقي وكتاب علامات النبوة لأبي نعيم وغيرهما .

اقرأ هذه الكتب كلها تجد الماء تارة ينبع من بين أصابعه عليه السلام لما أن جهده والمسلمين العطش وكانوا سفراً حتى كاد الموت يدركهم . وقد روى هذه المعجزة ممن حضروها من لا نستطيع الآن احصاءهم . ولا تكبرن هذه المعجزة على عقل دكتورنا أو عقول القراء ، فإن الجو والهواء مملوءان بذرات الماء . وعلماء الكيمياء الآن يستطيعون أن يركبوا ماء من هذه الذرات باذن الله . بل تطورات الجو . تكون من هذه الذرات السحاب ، ثم تنزل مطراً برحمة من الله وفضل . فلن يعظم ذلك على قدرة الله غوثاً لرسوله وغوثاً لعباده المؤمنين من الموت المحقق .

وتارة تجد الطعام يزيد بين يديه عليه السلام بدعائه ورغبته الى الله . وقد صحت هذه المعجزة في أصح كتب الحديث عن رجال كثيرين ممن أكلوا منها وشهدوها . ولا تتعاطمك أيها القارئ هذه المعجزة حتى تقع في انكارها ، فإن علماء الكيمياء الآن يستخلصون من الهواء والنبات ونحوه طعاماً عند الحاجة والضرورة الحاقة

وتارة ترى المشركين يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم المعجزة ويلجئون في الطلب فيشق الله القمر حتى يرى فلقين ويرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره الى الناس ويقول لهم : «اشهدوا»

وروايات انشقاق القمر رواها رجال الصحيح من طرق زعمها فريق من رجال الرواية متواترة . وقد حدث القرآن عنها بقوله :
(اقتربت الساعة وانشق القمر)

إذن لن يستطيع الدكتور انكار ذلك أو القدح في سنده بتجريح الرواية . وأحسب القارئ يجد على هذه الحادثة العظيمة إشكالات وشبهات قد تكون عقبة بينه وبين الايمان بذلك ، فلا بأس أن أحيله على كتاب مشكلات الأحاديث النبوية^(١) ، فانك واجد هنالك ما يبده عنك ما تجد من شبهات

ويحسن هنا أن نسائل الدكتور عن رأيه في انشقاق القمر ، فان قبل انشقاقه معجزة للنبي العربي فقد أبطل قوله في نفى المعجزات ، وان أبي الايمان بذلك قلنا له : كيف يجتمع هذا الإباء مع الايمان بالقرآن ومع الايمان بأنه من عند الله

وتارة ترى الاعرابي يجيء النبي فيقول له : ادع هذه الشجرة ، فان جاءتك آمنت لك وآمنت بأنك رسول الله . فيدعوها فاذا هي ماثلة أمامه ، ويأمرها بالجوع فاذا هي قائمة مكانها . فاذا الاعرابي يؤمن ، واذا الاعرابي يرداد إيماناً و يقيناً

وتارة ترى الأعمى يجيء رسول الله فيطلب منه أن يدعو الله له فيدعو فيشفى ويصبح بصيراً باذن الله

وتارة ترى الذراع المسمومة تقدم له عليه السلام فيقربها الى فمه

(١) خرج هذا الكتاب حديثاً وهو أول في موضوعه

الشريف فلا يلبث ان يزحزحها قائلاً: « ان هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة » فإذا هي مسمومة .

وتارة ترى الرسول يطلع فوق الجبل فيضطرب الجبل ويهتز فيضربه رسول الله برجله الشريفة ويقول له: « اثبت أحد فأنما عليك نبي وصديق وشهيدان » فإذا الجبل ثابت وتارة ترى الرسول يقول: « اني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل البعثة »

وتارة ترى الملائكة يحيئون رسول الله ويجالسونه ويقاثلون معه الأعداء .

وتارة تجد الطعام والشراب يسبحان بيده عليه الصلاة والسلام . وتارة ترى غير ذلك مما لا يستطيع احصاءه المحصون وما لا تحمله صحائف من الجرائد

ولقد قدر طائفة من علماء الأخبار معجزات رسول الله غير القرآن بألفين ، وقدرها غيرهم بثلاثة آلاف (١) . وكل هذه المعجزات رويت بالأسانيد . فإذا ما افترضنا لكل معجزة أربعة أسانيد ، وهذا أقل تقدير ، كان مجموع أسانيد المعجزات التي يصر الدكتور على انكارها اثني عشر ألفاً . فانظر بربك هل يمكن في العقل الذي يتهاقت عليه دكتورنا أن يوجد اثنا عشر ألف رواية وتكون كلها كذباً لا يصدق منها شيء . انظر بربك هل من المعروف للعقل والعادة ، أن تكون هذه الكثرة من الروايات كاذبة كلها ، مختلفة كلها ، مدسوسة كلها ؟ ما أهون الروايات إذن وما أهون التاريخ ، وما أرك عقل من يعتمد على التاريخ

(١) انظر فتح الباري جزء سادس ص ٣٧٦

والروايات في اثبات الاحداث ، وفي الايمان بالوقائع اذا كان اثنا عشر الف رواية من أصح الروايات كذباً كلها ، اختلاقاً كلها ، فأية رواية تصدق ، وأى تاريخ يقبل ؟ ! انه لا شيء من ذلك ، إنه لا تاريخ ، إنه لا عقل ، إنه لا صحيح في الدنيا . اثنا عشر الف رواية لا يصح منها شيء لدى صاحب كتاب « حياة محمد »

إذن كيف يصح عنده انه كان حجاج ، وكان عنزة ، وانه كان أبو تمام والبحترى والتمني وخلافهم . كيف يؤمن بهؤلاء ؟ ! إنه يجوز أن تكون الروايات في الأخبار عنهم ، وعن صفاتهم كذباً ، كما يقول في معجزات محمد . وإذن كيف يؤمن بالامام علي وشجاعته ، وعمر بن الخطاب وعدالته ، وامرئ القيس وشاعريته ؟ ! لا . انه لا يثق بشيء من الروايات ، ولا يثق بشيء من المتواترات . وإذن لعل هؤلاء غير موجودين ، ولعل ما شهر عنهم من الصفات غير موجود ، وإذن لا رواية ولا تاريخ ولا علم ولا سير . اثنا عشر الف رواية تكون كاذبة كلها

إذن كل شيء كذب ، وكل شيء خطأ ، وإذن كل شيء شك ؟ !

ياما أهون ديناً يحمل عليه كل من استطاع حمل القلم ، وما أضيع ديناً يقول فيه ما شاء كل من استطاع الكلام في السياسة والأدب والقانون ، وما أضعف ديناً يقال لأثبت شيء فيه ، وأقوى شيء فيه : هذا لم يكن ، هذا كذب ، هذا خلاف سنة الله وخلاف معروف العقل . وربك لقد هان الدين ، وهان التاريخ ، وهانت الدراسة ، وهانت كل حرمة في هذا العصر وهذا البلد

أيها الدكتور الجليل : مهلاً . فليس من المعروف للعقل أن تكون الروايات في المعجزات كلها كذباً لا يصح منها ولا واحدة . ولئن جاز في كل رواية وحدها أن تكون كذباً ، فلن يجوز عليها كلها الكذب بضرورة العقل . فالمعجزات بجملتها متواترة بل من أعظم المتواترات ولينظر الدكتور هل يمكن أن يكون المتواتر كذباً ، ولينظر ، وهو الصديق للعقل ، هل من العقل أن تكون أفراد هذه الروايات كذباً كلها واختلافاً كلها . وإذن فما هو المتواتر وإذن ما هي الأخبار التي يجب الإيمان بها ؟!

ليعلم الدكتور الفاضل أنه يصعب عليه جداً أن يثبت حادثة تاريخية من غير أن يصددها الكذب والتكذيب إذا كان هكذا البحث لديه ، وإذا كان هذا سلطان التكذيب عنده .

لينظر هل يستطيع أن يشك في جميع الأخبار عن علي بن أبي طالب بأنه كان شجاعاً ، وعن أبي بكر الصديق بأنه كان تقياً ، وعن الحجاج بأنه كان ظالماً سفكاً وأنه كان من عمال عبد الملك بن مروان ، وعن حاتم طي بأنه كان جواداً ، وعن ابنه عدى أنه جاء رسول الله فأسلم وحسن إسلامه .

لينظر الدكتور هل يستطيع الشك في الأخبار عن هؤلاء كلهم ؟! لا نحسبه ، مهما أسانا الظن ، يستطيع أن يشك في ذلك . وإذن ليعلم أن أخبار المعجزات التي يصر على عداوتها وتكذيبها لا تغل عن أخبار هؤلاء كثرة وصحة . وهذا يعلمه عامة الناس فضلاً عن درس التاريخ والمنطق والفلسفة . لا جرم أن مؤلفنا الضليع بالمنطق وقوانين البحث قد طاش به البحث هنا كثيراً

على أن الدكتور هنا قد نسي أقوالاً له في أثناء الكتاب ، فقد نفي المعجزات هنا جملة وبلا رحمة ، وأثبت في أثناء كتابه الإسراء والمعراج ، وأوجع المنكرين تأنيباً ، كما أثبت معجزة الغار تبعاً للمستشرق الفرنسي الذي يعرب عنه . فأى بحشه الصحيح عنده ، وعلى أيهما يعتمد ، وأيهما الخطأ يا ترى ؟! نترك الجواب له

والإسراء والمعراج ثابتان في القرآن : الإسراء في سورة الإسراء والمعراج في سورة النجم^(١) فلن يجرأ مؤلفنا على المجاهرة بتكذيب هاتين المعجزتين وهما قرآنيتان وهما يفسدان عليه بحته وحجته هنا افساداً لا يستطيع له اصلاحاً . وفي الحق أن كاتبنا كثير النسيان كثير الذهول عما يثبت في كتابه

انظر اليه يقول ص ٢٨٥ : « العظاء لا يخضعون لقانون . وان القوانين التي تجرى على الناس لا سلطان لها على العظاء ولا سلطان لها من باب أولى على المرسلين والأنبياء .. »

« فقد كانت عظمة عيسى ونبوته ورسالته معجزة الله فيه وخرقه لنواميس الكون وسنن الطبيعة وقوانين الخلق من أجله . فمن عجب أن يدعو المسيحيون المبشرون الى الايمان بهذا الخروج على سنة الكون في أمر عيسى وأن يأخذوا نمحداً بما هو دونه وما لا يزيد على أنه سمو عن الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم ويسمح به للبلوك ورؤساء الدول الذين تقدسهم الدساتير . كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعاً بهذا الرد وكان فيه من غير شك ما يسقط حجة المبشرين ومن ينهجون نهجهم من المستشرقين »

(١) انظر ص ١٧٥ من كتاب مشكلات الأحاديث النبوية

ألا يرى الدكتور ويرى القارىء معه أن مقالته هذه تهدم عليه قوله الذى نحن بسبيله ، والذى نفي به المعجزات حيث أخضع رسول الله أعظم العظماء لقانون الناس الذى لا يفتنون منه ، وحيث حكم بأنه انسان لا يفلت من معانى الانسانية وقيود الانسانية فى قليل ولا كثير ، وحيث جهر بأنه لا معجزات له لأنه انسان خاضع لمعانى الانسانية ؟ !
ألا ترى يا صاح أن الدكتور ، كما ذكرت لك ، كثير النسيان كثير الدهول عما ثبت فى كتابه ، فما سبب كثرة ذهوله وكثرة نسيانه فيما تظن ؟ وألا ترى يا صاح أن هذا القانون الذى وهبه للعظماء وجبه به المسيحيين والمبشرين يقضى على نفيه المعجزات قضاء مبرماً ويجبه نفيه جهاً شديداً .

هكذا ياسيدى الدكتور ، وربك ، الحقيقة المرة ، وهكذا الواقع المغضب والعجب العاجب قوله إن الرسول كان يصارح أصحابه بأنه لا معجزة له وأنا أؤكد له توكيد الواثق أنه عليه السلام ما نفي عن نفسه المعجزات ولا صارح أصحابه بذلك ، وأؤكد توكيد الواثق أنه لا رواية فيما زعم لا صحيحة ولا ضعيفة ، وأؤكد له أنه لم يقل قبل كاتبنا عالم بأن محمداً عليه الصلاة والسلام نفي عن نفسه المعجزات ، وإن كان لدى الدكتور نقل فليثبتته فانتا نقبله مع الشكر والحمد الجزيل ، فنحن ممن يتبعون الحق للحق وحده . والروايات التى ذكرها ليست فى سبيل مما أراد ولا تمت اليه بصلة . وقد أصابها بشيء من التحريف اللفظي كما أصابها بالتحريف المعنوي ، وقد حسب أن دعوة محمد لا تحتاج إلى المعجزات ، واذن لا معجزات . هكذا حسب ، وهكذا حكم . دعوة

محمد غنية عن المعجزات فلا معجزات . لا أدري كيف أغناها عن المعجزات ، وكيف لا يجد فائدة مطلقاً فى المعجزات ، وكيف لا يقدر أن يفهم أن قوماً من أعداء دعوة محمد قد يؤمنون بالمعجزات ، وقد يزدادون إيماناً لها ، وقد ينفعهم الله بها فتكون لها فائدة كى يؤمن بها مؤلفنا وكيفا يشتد فى انكارها وكيفا يلج فى عداوتها وتكذيبها ؟ !
ما أعظم فائدة المعجزات لو أن الدكتور تمهل ، وما أعظم بركة المعجزات لو أنه تريت . فللمعجزات من التأثير على أكثر النفوس ما لا يوجد إلا فيها وما لا يكون إلا لها . وكما يؤثر على قريش أن ترى الماء ينبع من بين أصابع رسول الله عند ما يمسهم الظم ، فإذا الماء كثير ، وإذا القوم مرتوون . وكما يؤثر على الأعرابي أن يطلب من رسول الله نقل الشجرة من مكانها فيرغب رسول الله إلى الله فإذا بها منتقلة ، ويرغب إلى الله لترجع فإذا هى راجعة . لا أحسب أحداً من خلق الله يزعم أن مثل هذه المعجزات لا فائدة فيها ، ولا أحسب أحداً يمارى فى أن لهذا النوع من التأثير والسلطان ما لا يوجد فى المعجزات العلمية

والناس طبقات فى تفكيرهم واستعدادهم : فريق لا يؤمن إلا بالمعجزات الحسية . وفريق لا يؤمن إلا بالمعجزات العلمية . وفريق يؤمن بالنوعين معاً ، ويزداد إيماناً بالنوعين معاً . ومحمد رسول الطبقات كلها . فكان من حكمة الله أن ينوع له المعجزات ، وأن يعزز دعوته بما عزز به دعوة جميع من سبقه من الرسل ، لأنه قد أرسل إلى أمم الأنبياء كلها ، ولأنه رسول الأحمر والأسود . وهل من الحكمة أن يطلب من النبطى والأعرابي والفلاح أن يعقلوا المعجزة العلمية ويدركوا اعجازها

ودلائها على النبوة ولا يرسل الله اليهم ما به يطمثون بالمعجزات الحسية الملموسة ؟

لا شك أننا إذا جرينا مع العقل لم نر بداً من الايمان بالمعجزات الحسية الملموسة .

ومؤلفنا يحسب الناس كلهم فلاسفة مثله غير محتاجين الا الى الدعوة المعقولة ، فاذا هم يسلمون ، واذا هم يؤمنون ، وإذا إيمانهم يقوى ، وإذا هم يتفانون في الدفاع عن الدعوة المعقولة ، وإذا هم يجاهدون دونها كما فعل الدكتور . ولكن فاتته أن كون الشيء معقولاً لا يضمن له قبول الناس إياه

ومؤلفنا يحتج هنا وفي مواضع من كتابه على نفي المعجزات بأنها خلاف سنة الله . وهو يعجل كثيراً في هذا الحكم وإلا لما زعم أن إثبات المعجزات يخالف سنة الله وهو يؤمن بالمعجزات لسائر المرسلين فيا سيدى الدكتور اذا كان جميع المرسلين جاءوا بالمعجزات فكيف يكون محجىء محمد بها خرقاً لسنة الله ألا يكون حرمان محمد منها خلاف سنة الله ، عكس ما تدعى هذا هو الحق يا صاح ولا ريب

وكم نخشى أن يكون مؤلفنا يرمى من وراء هذه المقالة إلى الشك في المعجزات التي في القرآن وغير القرآن لأنه يحرص جداً على الايمان بسنة الله . يأبى أشد الأبناء أن يخالف سنة الله . يخالف الأولين والآخرين ولا يستطيع أن يخالف ما يسميه سنة الله . وهو يرى مع هذا أن وجود الخوارق خلاف سنة الله . اذن لا خوارق لا في القرآن ولا في غيره . كم نخشى أن يكون الدكتور يرمى بمقالته هذه الى هذه

النتيجة المرة ويرمى بالمقدمات الى النتائج وإن خالفت النتائج الأولين والآخرين ، اللهم إن الخطأ في المنطق والتناقض في المنطق أيسر عندنا من أن يسير المنطق في سبيله إذا كانت نتائجه تصيب الدين في المقتل

قصة الفداء والذبح

وقال في ص ٤٨ ، تحت عنوان قصة الفداء في القرآن : « وقصة الذبح والفداء أن ابراهيم رأى في منامه أن الله يأمره بأن يقدم ابنه قرباناً له ، فيذبحه ويحرقه فسار وابنه في الصباح (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم) ،

ولعله من العجب أن يخطيء الدكتور في آيات القرآن التي نقلها فيزعم أن الله أمر ابراهيم بأن يذبح ابنه وأن يحرقه ويزعم أن ذلك في القرآن . والقرآن ليس فيه ، كما رأيت في الآيات التي نقلناها لك ونقلها الدكتور ، ذكر للتخريق ، وإنما فيها الذبح فقط

ولا أدري كيف جاءه هذا السهو مع ألمعيته التي لا تدفع ، ومع تحريه فيما يكتب وما يدع ، كما لا أدري كيف فات ذلك مراجعي تصحيح الكتاب . أخشى أن يكون هذا دليلاً على هروب القرآن الكريم من الصدور المسلمة . والكبش الذي افتدى الله به ابن ابراهيم لم يحرق ، (٣ - ٤)

وإنما ذبح وتصدق بلحمه على الفقراء والمعوزين ، والأضحى التي
يذبحها المسلمون في عيد الأضحى هي استنان بما فعله إبراهيم عليه
السلام

قصة شق الصدر ومنطق الدكتور

وقال في ص ٧٢ : « أسطورة شق الصدر »
وذكر تحت هذا العنوان أن هناك رواية تقص أن الملائكة
جاءوا محمداً وأناموه وشقوا صدره وخاطوه ، ثم ذكر أن المستشرقين
لم يطمئنوا إلى صدق هذه الحادثة ، ثم اختار هو أنها أسطورة كما ذكر
في العنوان ، ولم يعبأ بالرواية ، كما لم يعبأ برواية أصدق الرواة وأعلمهم
بالروايات لها وهم شيوخ المحدثين البخارى ومسلم وغيرهما
وكتب في الصفحة التالية مقبلاً الدليل على شكه في القصة بل على
نفيه لها : « وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى
هذا الموقف من هذا الحادث أن حياة محمد كانت كلها حياة إنسانية
سامية ، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من
الخوارج . وهم في هذا يجحدون من المؤرخين العرب والمسلمين سنداً
حين ينكرون من حياة النبي العربي كل ما لا يدخل في معروف العقل
ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع ما دعا القرآن إليه من النظر في
خلق الله وأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً . غير متفق مع تعبير القرآن
المشركين بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها »
ونحن هنا لا نعنى بمسألة شق الصدر كثيراً ولا يعنينا قبول الدكتور

لها أو رده إياها ، فهي مسألة فردية ، الخطب في تكذيبها ، وإن تكن
واقعة صدقاً ، سهل . فليس في تكذيب الدكتور لها ما يدعوننا إلى
مؤاخذته ، وإن يكن غيرنا قد يؤاخذ على ذلك ويرى فيه جناية أو شبه
جناية على الروايات ، كما قد يرى فيه تشجيعاً لأقوام على رد الأخبار
الصحيح لأهون الأسباب ، لمجرد شبهة تثب في الرأس أو تلجلج
في الضمير . وما أكثر الشبهات على كل صحيح لدى من يطاوعها ومن
ينساب معها ، كما يرى في نفى الحادثة ما يهون من شأن الحديث ورجال
الحديث وكتب الحديث في عصر أظهر ميزات أهله الشك والتفاخر
بالشك ، والقدح في الأسلاف وما تقوله الأسلاف

فرد قصة شق الصدر لايهمنا هنا كثيراً وإن كان فيه ما ذكرنا
وأكثر مما ذكرنا ، وإنما يهمنا هنا منطق نفى القصة ، الدليل على نفى
القصة ، حجة الدكتور على أن القصة أسطورة من الأساطير . وهو
قوله : « وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين ، الخ . »
فإن في هذه الحجة ما يستحق البحث والدراسة ، وما يستحق أن
نشغل التفكير فيه ولو بعض الوقت .

والدكتور هيكل من رجال القانون الحاذقين بالمنطق وصياغة
المنطق ، الحاذقين بمنتج الدلائل وعقيمتها ، فهل يسمح بأن يسمع قولاً
هو به أعلم ، فإن قوانين الدلائل وقوانين المنطق ، وإن تكن لها
علوم تدرس ، يشترك في فهمها جميع العقلاء ، حتى البدوي في خيمته ،
والزارع في حقله

يرى الدكتور أن حياة محمد حياة إنسانية بحته ، ويرى أن شق الصدر يتنافر مع الحياة الإنسانية . إذن لم يشق الصدر . هكذا يصوغ الدكتور برهانه

وأما نحن ، وأما أنت أيها القارئ ، فلا ندرى ، كما لا ندرى ، كيف يتنافى شق الصدر الحياة الإنسانية ، وكيف لا يشق صدر الإنسان ، ونحن نرى الطب الآن يشق ما يشاء من الصدور ، بل يشق ما يشاء من جسم الإنسان ؟! كما لا ندرى كيف لا يشق الله صدر من شاء من عباده ويخصه بما يشاء ؟!

وهل من الحياة الإنسانية لدى دكتورنا أن يعرج بالإنسان الى النساء ، ويسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ، والدكتور يؤمن بالأسراء والمعراج ؟!

وهل من الحياة الإنسانية إحياء الموتى وإبراء الأبرص والآكهم ، والدكتور يؤمن بأن عيسى عليه السلام إنسان وان حياته حياة إنسانية ، ويؤمن بأن عيسى كان يحيي الموتى ويرى الآكهم والأبرص باذن الله ؟! وهل من الحياة الإنسانية أن يلقي الإنسان عصاه فإذا هي حية تسغي ، وإذا هي تلقف ما أمامها ، والدكتور يؤمن بأن عصا موسى كانت كذلك ، ويؤمن بأنه كان إنساناً وان حياته حياة إنسانية ؟!

وهل من الحياة الإنسانية أن يلقي الإنسان في النار فلا تصيبه بسوء ، وإذا هي برد وسلام ، والدكتور يؤمن بأن إبراهيم ألقى في النار وخرج منها سليماً ، ويؤمن بأنه كان إنساناً وبأن حياته حياة إنسانية ؟! بل هل من الحياة الإنسانية أن يبقى الإنسان في النار الموقدة لا يموت

ولا يحيي ، والدكتور يؤمن بأن الذين يكفرون بالله ويحجدون الحق من الأناسي هم في النار وهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، الى غير ذلك من الأمثال التي تصادم هذه الحججة ولا يمكن أن تقابلها ؟!

إذن الاستدلال على نفي قصة شق الصدر أو غيرها من الخوارق عن رسول الله بحجة أنه كان إنساناً وأن حياته كانت حياة إنسانية استدلال يذوب أمام المنطق الصائب ، ولا يقف أمام البحث الصحيح ، لا طويلاً ولا قصيراً .

والدكتور يستدل على نفيه القصة بأنها لا تدخل في معروف العقل ، أى إن العقل لا يجيزها ، بل يراها من طائفة المستحيلات . ونحن وإن توقفنا في كل شيء أو شككنا في كل شيء فإنا لانستطيع أن نشك وأن نتوقف في أن العقل لا يأتى أن يشق الله صدر محمد أو غيره من عباده ونحن في زمن الجراحة والجراحين .

ومثل عملية شق الصدر يقع كل يوم على علم من الدكتور ، بل على علم ممن هو أقل من الدكتور . ولو أن العقل يأتى شق الصدر ، ويأتى جوازه لكان إباطه لسائر معجزات الأنبياء التي ذكرناها والتي يؤمن بها الدكتور أشد وأقوى . والعقل في حكمه على الأشياء بالاستحالة والجواز ، لا يفرق بين زمان وزمان ، ولا بين مكان ومكان ، كما لا يفرق بين نبي ونبي ، فلا يفرق بين عيسى ومحمد كما لا يفرق بين محمد وموسى

فإذا كان من المعروف للعقل معجزات موسى وعيسى وغيرهما ، لم يكن من الجهول للعقل مسألة شق الصدر يقيناً ، والا لو عرف

العقل تلك الخوارق للأنبياء ، ولم يعرفها لحاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام ، لم يكن عقلا بل كان وهما زائلا وعاطفة غير مضبوطة . وإذا لا بد أن يعرف العقل هذه الخوارق كلها أو يجهلها كلها . وأما أن يعرفها لجميع الأنبياء وينكرها لمحمد ، فشيء لا نعرفه ولا نرضاه من العقل ، وإلا لثرنا عليه ولما تفاخرنا به وتهاجونا بفقده .
والدكتور يستدل على كذب القصة بأنها تبديل لسنة الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وأما نحن وأنت أيها القارىء ، فلا نعلم أن هذه القصة تخالف سنة الله ، وأنها تبديل لها ، وما نحسب القراء يعلمون ذلك . إن إثبات هذه القصة لرسول الله إثبات له من حيث هو رسول لا من حيث هو انسان فقط . فان كانت سنة الله ألا يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء الذين سبقوا محمداً أمكن أن يقال إن سنة الله تأتي أن يخلق خارقة لمحمد عليه السلام وأمكن أن يقول دكتورنا إن سنة الله التي لا تبدل تأتي بشق الصدر . وأما إذا كانت سنة الله المعروفة أن يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء السابقين ، باعتراف دكتورنا واعتراف كل مؤمن بالأنبياء وباعتراف كل مؤمن بالكتب المقدسة ، لم يكن من سنة الله إباء ذلك في حق آخرهم ، ولم تكن سنة الله لتبخل بها على أفضلهم . بل إذا كان الأمر كذلك ، وهو كذلك ، وجب أن يقال إن سنة الله تقضى بأن تقدم لمحمد عليه السلام أنواعاً من ذلك ، وتقضى بأن تمنحه نصيباً كبيراً من هذه المنحة التي تفضل الله بها على سائر الأنبياء : عيسى وموسى وإبراهيم وخلافهم

وأما لو قلنا إن سنة الله وهبت هذه المنحة كل الأنبياء الذين قبل محمد ، وقسمت عليهم من ذلك ما شاء الله ، فلما أن جاءت عند خاتمهم وأعمهم ديناً ودعوة حرمة ذلك الفضل حرماناً باتاً ، لخصنا سنة الله ، ولخالفناها ، ولما تركناها على نمط واحد

هكذا يجرى البحث ، وهكذا ينتج الامعان في البحث الحق ، لا كما قال دكتورنا الجليل

على أن العجيب جداً أن يتحتم برهانه بقوله :

« ويرون ما ورد في ذلك غير متفق مع تعبير القرآن للمشركين بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها »

ولن نأثم أو نغلط إذا قلنا إن تعبير القرآن للمشركين بأنهم لا يفقهون ، لم يدل قط على كذب رواية شق الصدر أو غيرها من الخوارق ، أو قلنا إنه لم يستدل أحد من مفكري علماء الاسلام ، قبل الدكتور ، بذلك على كذب هذه الرواية ، أو قلنا إنه لم يقع في بال علمم بالقرآن منذ ثلاثة عشر قرناً على أن قول القرآن الكريم إن الكفار لا يعقلون لم يكن دليلاً أو بعض دليل على كذب هذه القصة واختلافها وإن استطعنا أن نحمل تعبير القرآن كل رأى في الأرض ، فلن نستطيع أن نحمل قوله في الكفار إنهم لا يعقلون الدلالة على أن رواية شق الصدر من أساطير الرواة وأوهامهم

وإن وجدنا لكل رأى في تفسير كتاب الله مخرجاً قد يقبل وقد ينفق عند فريق من الناس ، فلن نجد لهذا الرأى في تفسير الآيات مخرجاً .

ونحن لو احتجنا على إثبات هذه القصة بما احتج به الدكتور على نفيها، لكان احتجاجنا أقرب إلى الواقع، ولكان أكثر توفيقاً في ميزان النظر

وبيان ذلك أن الكفار مكذبى محمد عليه السلام كانوا يكذبونه كلما أخبرهم بما لم يعتادوه وبما لم يقع تحت حسهم، كما كذبوه لما أخبرهم بالاسراء والمعراج، وكما كذبوه لما أخبرهم بأن في النار شجرة الزقوم، وقالوا كيف تبقى الشجرة في النار ولا تحترق، وكما كذبوه لما أخبرهم بأن الملك يأتيه وهم لا يرونه، وكما كذبوه، إذ أخبرهم بالبعث وبخشر الأجسام، قائلين: إن ذلك غير مستطاع، وكما كذبوه إذ أخبرهم بما خلق الله على أيدي عباده السالفين من الخوارق والمعجزات، وكما كذبوه في كل ما أنبأهم به مما لم تتسع له آفاق عقولهم الضيقة بحجة أنهم لم يروه ولم يحسوه.

هكذا كان شأن رسول الله، وهكذا كان شأن الكفار معه: يحدتهم عن أسرار الله وعن شؤونه فيقابلونه بالكفران محتجين بأنهم لم يروه فهو غير مستطاع وغير داخل في حدود القدرة، فيرد الله عليهم ويرد عليهم رسوله بأن الله على كل شيء قدير وبأنه لا يعاجز ولا يغالب، فما لهم لا يعقلون ولا يتدبرون، وما لهم لا يستدلون بما رأوا على ما لم يروا بما يدل على شمول قدرة الله وعظيم سلطانه؟! فما لهم ينكرون قدرة الله على خلق هذه الخوارق، وعلى شق صدر رسوله، وعلى الاسراء والمعراج، وفي أنفسهم الدلائل على ذلك، وفيهم الدلائل

القاهرة على ما أنكروا وجحدوا؟! فما لهم لا يفقهون وفي أنفسهم أفلا يبصرون!؟

هم ينكرون الخوارق والمعجزات، وفيهم الخوارق والمعجزات، وفي خلقهم وموتهم وحياتهم الخوارق والمعجزات، وفي أحقر عضو فيهم وأبسط تكوين في أجسامهم توجد الخوارق والمعجزات

ينكرون على الله أن يشق صدر رسوله وهم يشاهدونه يشق لهم الاسماع والأبصار، يشق لهم الأفواه والآذان، ويشق لهم الأصابع والأعضاء، ويشق لهم ويشق، ويبدع في الشق ويحكم في الشق. فما لهم إذن ينكرون تلك الخوارق؟! أفليست لهم قلوب يعقلون بها ما يشاهدونه ويستدلون به على ما لم يشاهدوه؟! فما أضيق عطن من كذب بما لم ير، ومن جحد كل ما لم يقع تحت حسه! فما أضيق عطن الكفار وأقل عقولهم وتفكيرهم!

ولو أن القوم رزقوا شيئاً من سعة التفكير، وشيئاً من الاختراع في التعقل، ما أكبروا هذه الخوارق على قدرة الله، ولكن القوم لا يعقلون ولا يتدبرون، فهم كالأنعام لا يصدقون إلا بما يبصرون، فهم فاقدون حاسة المنطق، تلك الحاسة التي تستدل بالمقدمات على النتائج، وتعلم المجهول بالمعلوم.

ألا ترى بعد هذا أن هذه الحجة التي احتج بها الدكتور على كذب القصة هي في الواقع في جانب من ثبوت القصة!؟
وألا ترى بعد أن هذه الحجة لا تدل البتة على ما أراد الدكتور!؟

ثم ألا ترى ، بعد ما قدمنا ، أن من يأبى الايمان برواية شق الصدر بالدليل الذى ألفه مؤلفنا فى كتابه ، لا بد أن يأبى بنفس الدليل جميع الخوارق والمعجزات فى كل زمان ومكان ، ولا بد أن يأبى ذلك فى حق عيسى وموسى وغيرهما ، ولا بد أن يأبى الايمان بما ذكره القرآن من تلك الخوارق ؟!

وإننا لو ذهبنا نقيس ، أو لو أردنا الذهاب مع القياس الصائب ، لذهب بنا القياس إلى الايمان بالخوارق من شق صدر وخلافه ، أو لما كان القياس مانعاً من الايمان بذلك ، فإنا نرى التخصيص قد نال مخلوقات الله كلها. ننظر الشمس فنجد الله قد خصها بخصائص لا توجد فى غيرها ، وننظر إلى القمر فنجده كذلك ، وننظر إلى الأرض فنجدها كذلك ، وننظر إلى سائر الأجرام العلوية فنجدها كذلك ونجد فيها التخصيص والتمييز ، بل ننظر إلى كل شىء فى هذا الكون من بسيط ومركب فنجد التخصيص قد ساد ، فنجد خصائص فى النار لا توجد فى الماء ، كما نجد فى الماء خصائص لا توجد فى الهواء . وهكذا كل شىء فى الأرض والسماء

فإذا كان الله قد عم خلقه بالتخصيص فكيف تأبى التخصيص لرسول الله ، فتأبى أن يكون الله قد خصهم بشىء ، ونصر على أن يكونوا كسائر الناس تماماً ألا يكون هذا منازعة لسته الله وانحرافاً عن المنطق الصائب؟! قبل الجواب على هذه الأسئلة نرجو الدكتور ، ونرجو القراء ، ونرجو كل من يعشق الحق للحق ، أن يفكروا فى ذلك جيداً وأن يحكموا الحق فيما يقولون وما يصدقون

ممه تعاليم موسى التوحيد؟

وقال فى ص ٢٧ : « فى مصر نشأ موسى وفى حجر فرعون تربى وتهذب وعلى يد كهنته ورجال الدين من أهل دولته عرف الوحدة الالهية وعرف أسرار الكون »

ولا أظن قارئاً يرضى مقالة الدكتور هذه ، لا أظنه يرضى أن يكون موسى نبي الله وكليمه قد تلقى وحدة الله وتوحيده وعلم أسرار خلايقه وما فيها من آيات ومن عبر ومواعظ على أيدي كهان فرعون ورجال دينه ، لا أظن القارئ يرضى ذلك البتة ، بعد أن قص الله عليه ، وبعد أن قص عليه التاريخ ، ما كان يزعم فرعون لنفسه من ألوهية وربوبية ، وما كان يجاهر به من إنكار للاله الحق سبحانه ووجد له ، وبعد أن قص التاريخ طاعة قومه له ورضاهم بما فرض عليهم من العبودية له ، لا جرم أن القارئ سوف يعترف أن هذه القولة من أعظم زلات القلم

كم ينفر المسلمون وكم يغضبون أن يقال إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تلقى التوحيد وعرف الله وعرف أسرار خلقه على أيدي كهان العرب وعلما الوثنيين ، أو على أيدي أحبار اليهود ورجالهم ، أو على أيدي علماء النصارى وقسيسهم ، أو يقال تلقى ذلك على أيدي الشعراء والحكماء .

إن المسلمين عموماً ، ومن أولهم الدكتور ولا شك ، لا يرضون ذلك ولا يستسيغونه ، فكذلك لا يمكن أن يقبلوا هذه المقالة فى حق نبي من أنبياء الله إلا موسى ولا غيره

ولقد كان من اليسير جداً على كاتبنا العظيم أن يراجع آيات القرآن للعلم بأن موسى عليه السلام قد تلقى وحده الله عن عالم السر والنجوى ، وقد كان من السهل مراجعة قوله تعالى من سورة الشعراء : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) إلى قوله : (قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذن وأنا من الضالين ففهرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلنى من المرسلين) الخ الحوار بين نبي الله موسى وبين فرعون

فهذه الآيات فى غاية الصراحة فى أن فرعون وقومه ما كان لهم علم بهذا الشأن ، شأن توحيد الله ، بل ولا كان لهم علم به تعالى . فما أبعد أن يعبدوا موسى ذلك التوحيد الذى لم يرضوه منه ولم يقابلوه إلا بالكذب والكفران كما هى صريحة بأن نبي الله موسى ما هدى إلى هذا العلم وإلى هذا النور الباقى إلا بعد أن فارق فرعون وملاؤه الظالمين

هل تحبل العقيم من الغيرة ؟

أما ما رآه مؤلفنا ص ٤٨ من أن سارة حملت من الغيرة ، وأن الغيرة قد أذهبت عنها العقم ، فهذه مسألة نفسية ، ولسنا لسوء الحظ من علماء النفس ، فلن نقدر على قبولها أو نفيها على حذو العلماء النفسيين . ولكن الأمر الذى لا ينبغى أن نغفل عنه ، كما لا ينبغى أن يغفل عنه كاتبنا ، هو أن قصة حمل سارة قد ذكرها القرآن فى آيات . ولضعها أمام القارىء الكريم لينظر أين تنجحه ، وليعلم مبلغ قول مؤلفنا من الصحة ،

وهل يماشى الآيات أم ينافيها ، والحكم للقراء وحدهم فى أنفسهم : قال تعالى فى سورة هود : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت يا ويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

وقال فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) إلى قوله : (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم)

ولقد كنا نسمع العامة يقولون إن غيرة المرأة قد تؤثر فى العقم وقد تكون سبباً للحمل وقد تحبل المرأة إذا ما واثبتت الغيرة نفسها . وكنا نظن أن المسألة مسألة عامية صرفة لانصيب لها من التحقيق والعلم ، فإذا بنا نرى كاتبنا الإعلام العصريين يقررونها ويؤمنون بها ، وإذا بنا نعلم أن علماء النفس أو بعض علماء النفس يقولون ذلك ويؤمنون به ، وإذا بنا نجد ما كان يعد بالأمس خرافة اليوم حقيقة وعلماً ، وإذا بنا نرى الآراء تتبدل والأنفس تتغير

رحلة محمد عليه السلام الأولى إلى الشام

وقال ص ٧٦ : « إن محمداً عليه السلام في رحلته الأولى إلى الشام قد لقي أخبار النصارى، ووقف على النصرانية، وسمع من الكتب المقدسة، وسمع منهم بعض أخبار الغيب التي نبأ بها القرآن فتحققت نبوءته »

وليس للدكتور على هذه المقالة من برهان غير قول المستشرقين الذين ينكرون نبوة محمد، والذين ينكرون أن يكون بينه وبين السماء صلة، والذين يقولون إن ما جاء به من توحيد ومن أمور صائبة صحيحة غالبه مأخوذ من علماء عصره. وهذا قول المشركين في زمنه عليه السلام. قال الله تعالى في سورة النحل: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر). وقال في سورة الفرقان: (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) والقرآن مصرح كل التصريح بأنه عليه السلام ما كان يعلم من ذلك شيئاً قبل أن يوحى إليه. وفي سورة هود: (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين). وفي سورة الشورى: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

ولعلمها إحدى عجائب الدنيا أن يزعم الدكتور أن طفلاً يبلغ من العمر إثني عشر عاماً على قول وتسعة أعوام على قول آخر، طفلاً

عربياً فقيراً يتيماً، يذهب إلى بلاد الشام، بلاد الحضارة والغنى والكبرياء، فتتنزل له أخبارها ورهبانها من سماء كبرياتها وتأهلها لتجاده في الدين ولتقفه على أسرار النصرانية، ولتسمعه من أخبار الغيب ومن كتبهم المقدسة المضمون بها على غير أهلها. ونحن نعلم، والدكتور يعلم، ما كان للأخبار في ذلك الزمن من العظمة ومن الكبرياء والتأله. نعم، لعل هذا الزعم إحدى عجائب الدنيا

رحلة عليه السلام (الثانية)

وذكر ص ٨٣ أنه عليه السلام قد اتصل في رحلته الثانية إلى الشام بالنصرانية، والتقى بالأخبار والرهبان، وجادلهم وجادلوه في دين عيسى، وحادثهم وحادثوه.

وهذا أيضاً مقال منكري نبوته عليه السلام، وهو خيال محض لا نصيب له من الرواية ولا من الحقيقة ولا من المنطق. فلقد يصعب على المنطق أن يسلم أن شاباً عربياً أمياً فقيراً يذهب لبلاد الشام ليتجر فيقف على النصرانية ويلتقي بالأخبار والرهبان فيجادلوه في دينهم وفي دين عيسى، ويحادثهم ويحادثوه. أجل، هذا شيء كثير على المنطق، وشيء لا يستطيع أن يسلم به أبداً

هل كان عليه السلام مشغولاً بتلقي البرقة؟

وذكر ص ٧٧ أنه عليه السلام كان مشغولاً بتلقي البلاغة في أسواق العرب على الشعراء والحكماء، مشغولاً بتلقي الحق من علماء

اليهود والنصارى ، وما يقصونه عن كتبهم المقدسة وعن موسى وعيسى
وهذا أيضا ليس له عليه من دليل سوى قول الجاحدين رسالته
عليه السلام

وإلى هذا يعززون ما في القرآن من بلاغة ومن سمو في التعبير ، وما
فيه من حق ومن تاريخ صائب صحيح ، ومن أخلاق فاضلة عليا
وهذا كله خلاف ما أجمع عليه علماء الرواية وعلماء التاريخ
من أنه عليه السلام كان مبتعداً عن ذلك كل الابتعاد ، وكان نافراً
منه كل النفور . كان بعيداً عن قومه وعن مجالسهم وعمما فيها من قريض
ومن بلاغة

ولقد صح في كتب الحديث الصحاح أنه كان ينشد الأشعار
فلا يأتي بها على وجهها ولا يأتي بها موزونة ، فيقول له أبو بكر : بئس
وأحى أنت يا رسول الله لست بشاعر ولست براو للشعر .

ولقد يكون من اليسير على العزب أخصام محمد ، إذا كان الأمر
كما زعم الدكتور ، أن يقولوا له : إن القرآن الذي جئنا به ماهو إلا
من بلاغتنا التي تلقيتها في أسواقنا ومحافلنا . وقد ذكر الله في القرآن أنه
تعالى حرمه تعلم الكتابة والقراءة لئلا يطعن عليه المخالفون بذلك
فيقولوا : إنك تعلمت وإنك قرأت .

ابراهيم يدعو الناس الى احترام عقاه

ويذكر ص ٤٧ أن نبي الله ابراهيم كان يدعو الناس الى احترام
عقله ، كما ذكر هناك أن الذي هداه الى التوحيد وإلى محاجة المشركين
طول تفكيره وكثرة إمعانه في البحث

مجيء ابراهيم الى مصر

وفي ص ٤٨ عبت بقصة ابراهيم لما جاء إلى مصر مع زوجته
سارة عبثاً كنا نربأ به عن أن يقع فيه . قال في الصفحة المذكورة :
« ومن فلسطين ارتحل إلى مصر ، وبها يومئذ ملوك العماليق ، وكانت
سارة جميلة وكان الملوك الهكسوس يأخذون الجميلات المتزوجات ،
فأظهر ابراهيم أن سارة أخته خشية أن يقتله الملك ليتخذها له زوجاً ،
فرأى في المنام أنها ذات بعل ، فردها إلى ابراهيم بعد أن عاتبه وأعطاه
هدايا من بينها جارية تدعى هاجر ، ولما كانت سارة قد سلخت السنين
الطوال مع ابراهيم ولم تلد ، فقد دفعته ليدخل بها جاجر ، فدخل بها فلم
تبطيء أن ولدت له إسماعيل ولما شب إسماعيل وترعرع دبت الغيرة
في نفس سارة فحملت ثم ولدت إسحاق »

هذا سياق كتاب حياة محمد . والسياق الصحيح هكذا : « عن أبي
هريرة عن رسول الله عليه السلام قال : « لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث
كذبات : ثنتين منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله
كبيرهم هذا) . قال وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من
الجبابرة فقيل له إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس ،
فأرسل اليه فسأله عنها ، فقال من هذه ؟ قال أختي ، فأتى سارة فقال
يا سارة ليس على وجه الأرض مسلم غيري وغيرك ، وإن هذا
سألني عنك فاخبرته أنك أختي فلا تكذبيني ، فأرسل إليها ، فلما
(٤ - م)

دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ ، فقال ادعى الله لى ولا أضرك فدعت فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال ادعى الله لى ولا أضرك فدعت الله فأطلق ، فدعا بعض حجته وقال إنك لم تأتى بانسان إنما أتيتنى بشيطان ، فأخدمها هاجر ، فأنته وهو يصلى فأوما بيده : مهمم « أى ما ذا حصل » قالت رد الله كيد الكافر فى نحره وأخدم هاجر ، رواه البخارى ومسلم أصح كتب الرواية بلا نزاع ولتنظر ما بين السياقين من خلاف ، ولتنظر لماذا عدل الدكتور عن السياق الصحيح إلى سياقه الذى روينا . أخشى أن يكون الحامل له على هذا فراره من المعجزة أو الخارقة التى وقعت على يد سارة

عبادة خديجة لوصنام

ويذكر ص ٩٠ ، ص ٩١ أن خديجة رضى الله عنها كانت تعبد الأصنام ، وكانت تقرب لها القرابين والنحائر فى الوقت الذى كانت فيه زوجاً لرسول الله . ويذكر أن رسول الله كان يراها وكان يرى عبادتها فلا ينكر عليها شيئاً ولا يعرفها أنها أخطأت هذا . وهو يذكر أن رسول الله كان مبغضاً للأصنام ، مبغضاً لعبادتها ولعبادها ، منذ كان صغيراً ومنذ عرف الخير والشر

هل كان عليه السلام ينسى نفسه؟

ويذكر ص ٩٢ أن رسول الله كان فى أوقات ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل شىء فى الحياة

وهذا حال المرضى والمصروعين و « المجاذيب » لا حال العاقل الرزين الثابت ، إلا أن يكون الدكتور يكتب شعريات لا علييات . والشعر هو الذى تجوز فيه المبالغة ويروج فيه التهويل . والعلبيات علييات فحسب

هل كانت خديجة تؤذى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويذكر ص ١٠٠ أن خديجة ، تلك الزوج البارقة العطوف الرحيمة ، كانت تقول لزوجها رسول الله فى أخرج ساعاته وأشد أوقاته : ما أرى ربك إلا قد أبغضك .

وخديجة التى يزعمها دكتورنا جبهت زوجها رسول الله بهذه المقالة الجافة الموجهة حقاً هى التى قالت له عند فزعه الأكبر « والله لا يخزبك الله أبداً » وهى التى يزعمها دكتورنا وزير صدق لرسول الله . والرواية التى خدع بها هى رواية ضعيفة

دعوة محمد والطريقة العلمية الخيرية

ويذكر ص ١١٢ تحت هذا العنوان أشياء أنفر منها كل النفور ، أشياء يستوحش منها الفؤاد المؤمن ، ويزعمها أساس الدعوة المحمدية . وربما دل مقاله على أن دعوة محمد ودينه أشياء نظرية استدلالية لا تمت إلى السماء بسبب ، ويزعم أيضاً أن هذه الطريقة تقتضى الباحث أن يجرد نفسه من كل شىء ومن كل عقيدة سواء أكانت حقاً أم كانت باطلا

فتلا إذا أراد مسلم أن يبحث الإسلام والأديان وجب عليه أن يجرد نفسه من كل عقيدة، وأن يجرد نفسه من الإيمان بالله، ومن الإيمان بمحمد عليه السلام، ومن الإيمان بالإسلام، ومن الإيمان بكل عقيدة، ثم يشرع في بناء عقيدته من جديد!

ولينظر القارئ ما هذا؟! ولينظر هل هذه الطريقة الحديثة الإسلامية المحمدية، كما يزعم، من دين الإسلام في شيء؟! أو هل هي من المنطق الصحيح في شيء!؟

هداد رسول الله على بعض نساء

ويذكر ص ١٥٣ أن رسول الله قد أحد على زوجته خديجة ويظهر أن الدكتور لم يعلم أن الهداد خاص بالنساء، وأن الرجال ليس عليهم حداد

هل طاب رسول الله يواد اليهود

وهل كانوا موحدين؟

ويذكر ص ١٨٩، ص ١٩٠ أن رسول الله كان يواد اليهود، ويتقرب إليهم، كما يذكر أن اليهود كانوا موحدين.

ولم ير بأساً فيما قال، وإن كان القرآن يقول: (وقالت اليهود عزيز ابن الله) ويقول: (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ويقول: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)

والعجب العاجب أنه يذكر في مواضع من كتابه أن اليهود كانوا معنيين في الشرك والكفر، وكانوا معنيين في عداوة رسول الله وفي مناوآته، كما كان هو معنياً في عداوتهم ومناوآتهم

غلط

وفي ص ٣٠٢ يعذر طائفة من المنافقين، قد حوا في رسول الله، وقد حوا في صدقه، وأسرفوا في التهمك به حتى قالوا له في بعض أيامه العصية الرهيبة: « كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط »

هل أقر الإسلام شيئاً من الوثنية؟

ويذكر ص ٣٩٦ أن سدانة الكعبة وسقاية الحجيج وثنيتان أبقى عليهما الإسلام وجعلهما من دين المسلمين.

وهذه المقالة من أعظم الأخطاء التي اصطدم بها الدكتور. ونحن لا نستطيع أبداً أن نجد لقوله هذا من تأويل صحيح، فانه إن كان يريد أن السقاية والسدانة كاتبا مما يعمله المشركون. فقد كان الحج، وكان الطواف بين الصفا والمروة وفي الكعبة، وكان شيء كثير، يعمله المشركون ويؤدونه على أنه دين وعبادة لله. فلماذا استثنى السقاية والسدانة من أعمال المشركين؟! إن في الأمر شيئاً، وإن تحت مقاله لأمرأ.

وأذكر أن أبا العلاء المعري كان يزعم أن الحج عمل وثني، وكان يعيب الإسلام بذلك

المقارنتين المسامحين والغربيين

ويذكر ص ٤٩٤ أن نظرات أمم الغرب اليوم في علوم الطبيعة وأبحاثهم الجديدة فيها هي النظرات التي تزيد الإنسان إيماناً بربه ، وهي النظرات التي حث عليها القرآن كثيراً للدلالة على الله وعلى عبادة الله ، وهي نظرات المسلمين الأولين في هذا الكون .

ولعل مقارنة الدكتور بين النظرتين : نظرة المسلمين ونظرة الغربيين ، أو نظرة القرآن ونظرة الغرب في هذه المخلوقات من أبن الأخطاء التي وقع فيها .

إن نظرات الغرب في الطبيعة وفي الكون بأسره هي نظرات مادية صرفة يراد بها استخدام المادة واستخدام الكون بأسره في مقارعة الإنسان وفي التغلب على عباد الله بغياً وعدواناً . نظرات يراد بها استخدام الخلائق كلها في الشهوات واللذائذ وفي إرضاء النفس الجامحة الحريصة . نظرات بريئة من الروحانية ، بريئة من الإيمان والاعتبار . وهذه النظرات من أبعد النظرات عن الله وعن الدلالة عليه ، من أبعد النظرات عن أن تثمر لأصحابها غير التدمير والتخريب والتقتيل . وهذا هو الواقع اليوم في الغرب .

وأما نظرات المسلمين ونظرات القرآن فهي نظرات روحية سامية كل السمو . هي نظرات اعتبار وانعاط . نظرات استدلال على الخلاق العليم العظيم . هي نظرات بريئة من الطمع والمادة وهل تلتقي النظرتان حتى يلتقي الشرق والغرب وحتى يلتقي

الإيمان والكفر ؟ أو ما مثل النظرتين إلا رجلاً وقف أمام قصر نخم مشيد ، وقفاً ينظران إليه ، أحدهما ينظر إليه ليعلم كيف يهتدى إلى سرقة ما فيه والاستيلاء عليه بالعسف والجبروت واستخدام ما يجده فيه من ذهب وفضة وأموال في ظلم صاحب القصر وفي ظلم خلق الله وفي استخدامه في الفسوق والفجور . وهذه نظرة الغربيين في هذا الكون .

وثاني الرجلين ينظر إليه معتبراً بحذق بانيه وحسن صنعته ، ذا كراً بفضل الله وشرته نعمه على مالكة ، ذا كراً ما يجب عليه من الحقوق والواجبات للفقراء وأبناء السبيل ، ذا كراً كيف فضل الله بعض العباد على بعض في الرزق والعطاء حكمة منه ورحمة وعدلا ، ذا كراً كيف هدى الله الإنسان لأن يبنى لنفسه أمثال هذا القصر للجهال وللحيطة من عدوان الطبيعة الثائرة ، راجعاً الفضل كله والمنة كلها إلى الله في هذا القصر وفي كل شيء بيد الإنسان . وهذه النظرة هي نظرة المسلمين الأولين ، وهي نظرة القرآن الكريم ، وهي النظرة التي أرادها القرآن من أهل القرآن . ولتنظر هل تصطلح النظرتان ؟!

الغربي ينظر إلى الكون قائلاً : كيف أصنع بهذا؟ . والمسلم الحق ينظر إلى الكون قائلاً : سبحان خالق هذا (ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)

المسلم يبحث في الكون ليؤمن بالله . والغربي يبحث في الكون لينكر الله . ولهذا فالمدارس العصرية الأوربية هي مصانع إلحاد وكفر برب العالمين

مذهب وحدة الوجود

وهناك في كتاب هيكل مسألة خطيرة كل الخطورة . هذه المسألة هي أنه يقرر في مواضع من كتابه وحدة الوجود بعبارات مختلفة في الوضوح . فقد ذكرها ص ١٠١ ، ص ١١٣ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢٣ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ . وقررها في مواضع أخرى ، وأكثر من ذكرها مما يدل على شدة اقتناعه بالمذهب وإيمانه به .

وقال في ص ٤٣ : « النفوس الضعيفة أعجز من أن تسمو للاتصال بالوجود كله ولا يدرك وحدته ممثلة فيما هو أسمي من كل ما في الوجود ، ممثلة في الله ذي الجلال ، وهي لذلك تقف عند مظهر من مظاهر هذا الوجود كالشمس أو القمر أو كالتارثم تضعف عن الارتفاع بنفسها إلى تمثل هذا المظهر فيما يدل عليه هو أيضاً من وحدة الوجود .

« هذه النفوس الضعيفة تكتفي بوثن يتمثل لها فيه معنى مبهم وضع من الوجود ووحدته فتصل بهذا الوثن وتخلع عليه من صور العبادة ما لا تزال تراه في بلاد العالم جميعاً »

وكلمته هذه أكثر كلماته إيقاعاً في الشك . ولا أحسبني متجنباً أو مخطئاً إذا قلت إن قوله هذا ربما دل على أن المشركين كانوا غالطين لأنهم عبدوا بعض هذا الوجود كالشمس والقمر مقتصرين على ذلك ، ولو أنهم عقلوا واتسعت مداركهم وآفاق عقولهم فعبدوا الوجود كله ممثلاً في ذات الله لكانوا راشدين وكانوا غير مشركين . ولكن القوم أضعف وأعجز من أن يسموا إلى الاتصال بهذا الوجود كله لأنه يمثل في ذات الحق سبحانه : أقول لا أحسبني متجنباً ولا مخطئاً إذا قلت

إن كلام الدكتور ربما أعطى ما ذكرت وربما كان رامياً إليه من قرب أو من بعد .

مذهب وحدة الوجود تكلم فيه علماء المسلمين الأوائل كلاماً كثيراً وكتبوا فيه كتباً خاصة ، تكلموا فيه بين صوفية تأميين عن الحق مؤمنين بالمذهب داعين إليه ، وبين آخرين ناقضين عليهم رادين على المذهب مشتمين في الرد . والمذهب يؤول إلى انكار الله . يرمى إلى تعطيل العالم من الخالق . يرمى إلى القول بالطبيعية ويقدم العالم . يرمى إلى هدم ما جاءت به الكتب المقدسة من الأساس . المذهب يقول إن الوجود واحد كله فليس هنالك خالق ومخلوق ، كما ليس هنالك عابد ومعبود ولا قديم وحادث . فالوجود إما أن يكون قديماً كله أو حادثاً كله . وأما أن يكون منه قديم ومنه حادث ومنه عابد ومنه معبود فليس كذلك لأن الوجود واحد ولأن وحدته تنافيه . ولقد قال هذه المقالة طوائف انتسبت إلى الإسلام وكتبت في المسألة ، وأخيراً وقعت في الجحود والإلحاد ، حتى قال بعض هؤلاء وهو من أئمتهم المشهورين :

العبد حق والرب حق يا ليت شعري من المكلف !؟

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب ، أنى يكلف !؟

وقال آخر : إن النصارى ضلوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة ،

ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين

ولأهل هذا المذهب العجيب أقوال ينفر منها من يقرؤها ولا

يطبق سماعها فضلاً عن أن يؤمن بها

واذن أنا خائف على الدكتور من هذا المذهب . خائف عليه

من أن يكون قد قرأ البعض من كتب في المسألة ، فراقه ما سمع وحسبه
فلسفة وتعمقاً في الدراسة ، ولم ينفذ إلى صميم المراد ، ولم يصل غاية
المذهب ، لأنه لم يألف قراءته ، فلا غرابة أن تسمو فوقه أغراضه
وأسراره ، ولا غرابة ألا يظل على آفاق هذا المذهب

الله في نظر الدكتور

قال في ص ١١٣ : « فلا بد لهذا الكل « أي الكون » من روح
يمسكه ، منه نشأ وعنه تطور واليه يعود ، هذا الروح وحده هو الذي
يجب أن يخضع له الانسان ، أما سائر ما في الكون فهو خاضع لهذا
الروح كالانسان سواء . والانسان والكون والزمان والمكان وحدة ،
هذا الروح جوهرها ومصدرها »

هذا هو الله في نظر الدكتور ، وهذا هو الذي يجب له العبادة وحده ،
فالله عنده روح هي جوهر لهذه الخلائق . ولا أدري ماذا يريد بجوهر
أهو يريد أنه معنى الكون وصفته أم يريد أن الكون هو معناه
وصفته أم يريد غير ذلك ؟ ولا نعرف أحداً من المسلمين سمي الله
روحاً وجعله جوهرأ للخليقة قبل مؤلفنا في كتابه الجديد الطريف .
وعلى كل حال أنا أنظر الى هذا القول بعين الحذر والريبة

الآخرة في رأي الدكتور

قال ص ١٠١ : « الآخرة التي تحيط فيها النفس بكل الوجود
في كمال وحدته ، والتي يتلاشى فيها المكان والزمان ، وتنسى

فيها اعتبارات هذه الحياة الوضيعة الأولى الآخرة التي يصير فيها الضحى
ولألاء شمسها الباهر ، والليل ودجاء الساجي ، والسماوات والكواكب
والأرض والجبال كلا واحداً تتصل به الروح الراضية المرضية . هذه
هي الحياة التي يجب أن تكون اليها الغاية من سفر هذه الحياة »

هذه هي الآخرة عند مؤلفنا . وآخرته هذه مخالفة لآخرة جميع
المسلمين . ولا نعلم من أين علم بأن النفس تحيط بكل الوجود في كمال
وحدته هنالك ، وأن المكان والزمان يتلاشيان وتنسى كل الاعتبارات ،
كإلا ندري من أين علم أن الضحى والشمس والليل والظلام
والسماوات والكواكب وكل شيء يكون كلا واحداً تتصل به الروح
الراضية !!

والذي يعرفه المسلمون أن الليل والنهار والشمس والقمر وهذه
الخلائق التي عددها الدكتور تنطير يوم القيامة وتتبعثر
ثم هل يسمح الدكتور بأن يدلنا على معنى اتصال الروح الراضية
المرضية بهذه الخلائق كلها في الآخرة ؟

هل يرى انه الروح قديمة ؟

قال ص ١٢٠ : والروح !!! الروح الذي هو من أمر الله ،
الروح المتصل بأزل الزمن وأبده ، هذا الروح ما عمل صالحاً ،
فلا حجاب بينه وبين وجه الله ولا سلطان لغير الله عليه ،
هذه هي الروح في قول دكتورنا فهي متصلة بأزل الزمن
وأبده . إذن هي قديمة عنده ، وإذن هي لا بداية لها لأنها متصلة بأزل

الزمن وأبده. ولعله لا يدين مذهب التناسخ؟ ! مذهب التناسخ الذى ينكره جميع المسلمين. وكلنا والحمد لله أرواحنا من أمر الله، ولكنها ليست متصلة بأزل الزمان وأبده. ولا أحسب أحداً من الموجودين اليوم يعتقد أن روحه متصلة بأزل الزمن وأبده. والمسلمون يعلمون كافة أن هنالك حجاباً بين أرواحهم، وإن كانت صالحة بارة، وبين الله. فلا تستطيع روح، مهما كانت سامية أن تتصل بالله الاتصال الحقيقى، وأن يزال الحجاب بينها وبين الله. وقد صح فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محدثاً عن الله: «حجابه النور» وقالوا له عليه السلام: هل رأيت الله؟ فقال: «نور أنى أراه» وفى القرآن الكريم أن نبي الله موسى طلب منه تعالى الرؤية فلم يعط ما طلب.

الاجماعه فى نظر الدكتور

وفى ص ٤٩٢ يفسر الايمان تفسيراً يحمل على الشك والريب، تفسيراً يخالف فى ظاهره معنى الايمان عند الاسلام والمسلمين. ولتسمع عبارته:

«والايمان شعور روحى يحس به الانسان يملاً نفسه كلما اتصل بالكون وفى فى لانهاية المكان والزمن وامتثل الكائنات كلها فى نفسه»

ولننظر ما هذا الايمان؟! وما معنى هذا الفناء فى لانهاية المكان والزمان؟! وما معنى امتثال الكائنات كلها فى النفس!؟

هذه كلها فى رأى وفى رأى كل من يقرؤها ألتغاز والايمان الذى يثيب عليه الله الجنة والزحزحة عن النار هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو الايمان بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج إلى غير ذلك ولقد رأيت فى هلال يونيه سنة ١٩٣٥ مقالا للدكتور عنوانه: «العمل عبادة» ذكر فى ذلك المقال أن كل عمل يؤديه الانسان فى غير ما ظلم هو عبادة لله خالصة حتى الحفر فى الأرض والزراعة وجمع الأموال والتباهى بالقصور وزينة الدنيا. وهذا من عجائب الدكتور.

الصلاة والصيام فى رأى

وفى ص ٤٩٣ يفسر الصلاة والصيام تفسيراً نحن منه فى شك، تفسيراً نخشى ان يكون له خبيء. قال فى الصفحة المذكورة: «ولا سبيل إلى معرفة هذه السنة إلا بادامة الاتصال بالكون والنظر فيه والتماس العون من الله للاهتداء إلى أسرارهِ. إليه تعالى يتجه الانسان بقلبه وروحه. إياه يعبد وإياه يستعين. وهذه هى الصلاة وهذا هو الاتصال بالله شكراً على نعمته. فاذا أثقل جسمنا روحنا وطغت ماديتنا على انسانيتنا فقد وجب أن نكف جهد الطاقة عما يجعل الجسم يثقل الروح ويجعل المادة تطنى على الانسانية. وذلك هو الصوم»

والصلاة فى الاسلام هى هيئة مخصوصة ذات ركوع وسجود وقيام

وقعود، وذات قراءة وأدعية وتسبيح وأشياء أخر . والصوم هو الامسك عن الطعام والشراب وشهوة النفس وعن المحرمات شهراً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . فهل يخفى هذا على مؤلفنا، وهل عبارته هذه تؤدي هذا المعنى

غلط:

وفي ص ٤٧١ يفسر علم محمد عليه السلام للغيب تفسيراً لا يرضاه ولا يرضاه من عرف ما الوحي ومن عرف ما النبوة . ويجهل أن يجعل علمه للغيب كعلم سائر الناس أولى الرياضة، وقد يجعل ذلك من مناجاة الأرواح ومن اتصال أرواح الأحياء بالأموات . وهذا يؤدي إلى انكار الوحي إلى الأنبياء .

تحريف

وفي ص ١٧٩ يعبث بقصة سراقه بن مالك ولحاقه رسول الله وأبا بكر في سفر الهجرة عبثاً أى عبث ويحرفها تحريفاً أى تحريف، يتنكب ما رواه علماء الاسلام ومحدثوهم ومؤرخوهم مائلاً إلى ما كتبه المستشرقون . قال :

«وبدأ محمد وأبو بكر يفكران في امتطاء جمالهم إذ كانوا من سراقه قيد البصر وكان جواد سراقه قد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما جهده فلما رأى الفارس أنه وشيك النجاح وأنه مدرك الرجلين فزادهما إلى مكة أو قاتلتهما إن حاولا عن نفسيهما دفاعاً نسي كبة جواده

ولزه ليمسك بيده ساعة الظفر ولكن الجواد في قومه كبا كبة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره، وتطير سراقه وألقى في روعه أن الآلهة ما نعة منه ضالته وأنه معرض نفسه للخطر داهم إذا هو هم مرة رابعة لانفاذ محاولته . هنالك وقف ونادى القوم أنا سراقه بن جعشم انظروني أكلبكم فوالله لا أريكم فلما وقفنا ينظرانه طلب إلى محمد أن يكتب له كتاباً يكون آية بينه وبينه . . . الخ

والذي ثبت في قصة سراقه بن مالك : وأعرض عنه الدكتور، هو أنه لما اقترب منهما دعا عليه رسول الله فساخت قوائم فرسه، فطلب من الرسول عليه السلام ومن صاحبه أن يدعوا له ولا يمسه بسوء، فدعا له رسول الله، فمض جواده، فرجع كافاً الطلب عنهما . والسبب في إعراض الدكتور عن هذا أنه يأبى الايمان بالخوارق والمعجزات

الكتاب من الوجهة الفنية

لا أخفى على القراء أن كتاب حياة محمد لم ير شيئاً من إعجابي من الوجهة الفنية التأليفية ، بل أستطيع أن أقول بعد قراءته إنه من هذه الوجهة قد يكون نجاً غير ناضج، وقد يكون ضعيفاً في حاجة شديدة إلى القوة والاجادة

للكتاب في الدين فن خاص به، وللكتابة في الأدب فن خاص به أيضاً، وللكتابة في السياسة والقانون فن خاص بهما، ولكل علم فن خاص به . ومن أحسن الكتابة في بعض هذه العلوم

لم يلزم أن يحسن الكتابة فيها كلها . فمن أجاد الكتابة في القانون والسياسة والآداب والقصص لم يلزم أن يحسن الكتابة في الدين . ولو حاول عالم من علماء الدين الكبار أن يكتب في القانون لما استطاع الكتابة ، ولو كتب لما أحسن ، بل ولجعل نفسه عرضة للوم والزراية

إذن للدكتور هيكل العذر الواضح المقبول إذا ما كتب في الدين وقصر تقصيراً كبيراً ، بل وله الشكر والثناء على ذلك الذي قصر فيه

ولأدلك على قصور الكتاب من هذه الوجهة ، بل على ضعفه ، بأول صفحة في الكتاب وكفى بذلك دليلاً مقنعاً

ذكر في الصفحة الأولى أن الأذان دعاء إلى الصلاة لله وإلى الصلاة على رسول الله . والواقع أن الأذان دعاء إلى الصلاة لله فقط كما يقول المؤذن حتى على الصلاة

وقال : « وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم لصوات العصر فالمغرب فالعشاء »

والصواب ثم لصلاة العصر فصلاة المغرب فصلاة العشاء ، أول صلاة العصر فالمغرب فالعشاء ، أو ثم لصوات العصر والمغرب والعشاء

وقال : « وكذلك سيكونون » أي سيدكرون محمداً « حتى يظهر الله

الدين القيم ويتم نعمته على الناس أجمعين » وقال في السطر التالي : « ولم يك محمد بحاجة إلى زمان طويل ليظهر دينه ولينتشر في الخائفين » .. الخ

ففي السطر الأول ذكر أن الدين لم يظهر بعد ولم يتم الله نعمته على الناس بهذا الدين ، وفي السطر الثاني ذكر أن ذلك قد كان وقال : « وفي كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمداً في ضراعة وخشية وإناابة »

والذي يذكره المسلمون في خشية وإناابة وضراعة هو رب محمد ورب كل شيء لا محمد

ذكر هذه الأمور كلها في الصفحة الأولى من الكتاب . وهذا نموذج وضعناه تحت بصر القارئ يستطيع به أن يعرف مقدار نضوج الدكتور هيكل ونضوج كتابه في الكتابة الدينية أو التحليلية الفلسفية كما يريد

وفي الكتاب خلاف كثير ، أي ما يسميه الناس تناقضاً . وقد وقع في المقدمة من ذلك شيء كثير . ذكر فيها أن الإخاء قد ظل قائماً بين المسلمين والنصارى طول حياة رسول الله . وذكر في موضع آخر منها أن الإسلام وقف في وجه النصرانية وقفة المناضل المستميت . كما ذكر في موضع آخر أن النصرانية قد جردت جيشاً عرمرماً للقضاء على الإسلام ، ولدفع عدوان هذا الجيش كانت غروة « تبوك » المشهورة وكما ذكر أن الله أنزل قوارع الآيات في ذم النصارى وذم أهل التثليث . وذكر في المقدمة أيضاً أن السبب في عداوة النصارى للإسلام هو جهلهم بالإسلام ، وذكر في موضع آخر منها أن السبب في ذلك هو أن بين الدينين : الإسلام والنصرانية خلافاً جوهرياً ، خلافاً في صلب العقيدة

وذكر فيها أيضاً أن الإسلام لم يكن يشتد في الرد على النصارى، ثم نقل في مقدمته، بعد هذا القول، أشد قوارع الآيات في الرد عليهم وفي تفنيد عقيدتهم. والأمثال من هذا النوع، في الكتاب عامة وفي المقدمة خاصة، كثيرة. أفلا يدل ذلك بعض هذا على أن الكتاب في حاجة ماسة إلى النضوج والإجادة؟!

نقد الكتاب

لا مشاحة بين القراء أن في الكتاب ظرفاً، وفيه رقة وبداعة، وفيه خيالاً عصرياً فرنسياً لذيذاً، وفيه حلاوة، وعليه طلاوة. لا مشاحة بين القراء في وجود هذه الأمور. ولكن الكتاب فيه، بعد ذلك، أغلاط نحوية وأغلاط صرفية كثيرة، وفيه تفكيك وقلة ارتباط بين جملة، وفيه عبارات قد تعمى عن البيان وقد تعمى عنها البيان وقد يكون عسيراً جداً فهمها. وهذه أمور لا خلاف بين قراء الكتاب فيها. وقد كتب أحد الكتاب في مجلة الرسالة مقالاً خاصاً بأغلاط الكتاب اللغوية، وذكر من ذلك شيئاً كثيراً

ونحن لا نرى بنا حاجة إلى إثبات هذه الأغلاط، ولا إلى إثبات شيء منها. ولكن الذي نرى إثباته هنا هو أن نسدى النصيحة للدكتور ونطلب إليه أن يراعي القواعد العربية من نحوية وصرفية. وهذا أمر يسير على مثل الدكتور. ولقد يكون من الظلم لذلك الأسلوب الرقيق الذي وهبه الله «هيكلاً» أن يكون مشوهاً باللحن والغلط، ممسوخ الجمال بما فيه من أغلاط عربية ظاهرة. وأتذكر أن الدكتور قد أخرج

كتاباً سماه «ثورة الأدب»، فكان فيه أغلاط عربية فانتقده الكتاب، وأتذكر أن من ناقديه الدكتور طه حسين. وقد كان هذا كافياً لمؤلفنا أن يجانب هذا العيب المفروض على كتاباته. ولكن يظهر أنه لا يبالي هذه الناحية ولا يرى لها خطراً يستحق العناية والاهتمام. والأمر خلاف ما قدر وما ظن.

خاتمة

هذا بعض ما يؤخذ على كتاب هيكل من الجهة الإيجابية. وليلاحظ أننا لم نتقص الكتاب جيداً، وليلاحظ أيضاً أننا لم نؤاخذه إلا بما نراه خطيراً عظيماً، ولنا عليه ما أخذ آخر من الوجهة السلبية. ذلك أن في الكتاب قصوراً واضحاً. فالكتاب في حياة محمد كما سماه. إذن يجب أن يحيط بالأشرف الأكبر من هذه الحياة، ويجب أن يحيط بالناحية العظمى منها. ونواحي الحياة عديدة. ولكن لنا أن نسائل هل وفي ذلك؟ هل كتب عن أشرف نواحي حياة محمد وعن أكثرها؟ لعننا لو أجبنا بالإيجاب لكننا محابين للدكتور. فلقد أهمل أعظم النواحي من هذه الحياة السامية، السامية حقاً، حياة النبوة وكفى. وقصر كتابه على نواح قد لا تماثل ما أهمله خطراً وخطورة. بل إننا نرى من الظلم لحياة محمد عليه السلام أن نقول: إن هذا الكتاب يستحق هذا الاسم «حياة محمد»، وبعبارة أخرى نقول: إنه كتب عنه كسياسي محارب ولم يكتب عنه كرسول عابد، أو نقول: إنه كتب عنه كقائد ولم يكتب عنه كإمام أي إنه أهمل ناحية العبادة والتعلق بالسماء، ذلك الأمر الذي هو

أبرز صفاته عليه السلام في كل أدواره ومواقفه . ولانشك أن من يقرأ هذا الكتاب يخرج منه على أن حياة محمد ما هي إلا حياة حرية محضة ، حياة كلها الغلبة وكلها الدماء وكلها البطش والجبروت . ولعلك لا ترضى من هذا القول حتى نضع يدك على حجته ، فأقول : انظر إلى ما كتب عنه عليه السلام : في جميع غزواته تجده قد كتب عن انتصاراته الباهرة وعن أذلاله لأعدائه ، وعن إحكام سياسته . وتجده قد أهمل تأله وعبادته وتعلقه بالله . وقد كان عليه السلام لا يترك الصلاة في حرب ولا سلم ولا في حضر ولا في سفر . وقد صلى بأصحابه صلاة الخوف وصلاة الجهاد عدة مرات بأنواع من الهيئات على حسب حال العدو وعلى حسب ما تسمح به حالة القتال . وكتاب السيرة كلهم يذكرون ذلك ويكثرون من ذكره . ولكن دكتورنا لم يذكر منه شيئاً مطلقاً وكذلك أهمل صيامه وسائر عباداته في أسفاره وجهاده . وهنالك شيء آخر يدل على قصور في الكتاب ، أو على عيب في الكتاب . ذلك أنه يذكر ما يأتي به رسول الله من مهارة في الحرب ومن سياسة حكيمة راشدة ويعزوها إليه على أنه هدى إليها بعقله ، وعلى أنه أدركها بتفكيره ، ولا يعزوها بل ولا يعزو منها شيئاً إلى وحى الله وإلى نبي جبريل .

وهو أيضاً يعزو انتصارات المسلمين على خصومهم إلى شجاعتهم وإلى قوتهم وإلى تفانيهم في حب الفناء . ولا يعزو شيئاً من ذلك إلى لطف الله ونصرتة . أي إنه يجعل انتصاراتهم على المخالفين هي انتصارات عادية طبيعية . ولا ريب أن هذا خلاف القرآن ، وخلاف قول المسلمين كافة .

وشيء آخر في الكتاب . وذلك أنه يعتمد على الضعيف من الروايات كثيراً . مثل ذلك أنه ذكر ص ٩٥ أن أول الوحي كان مناماً . وهذا القول فيه رواية ضعيفة ، والروايات الصحيحة المعتد بها خلاف ذلك ، ورأي المسلمين اليوم خلافه أيضاً

وشيء آخر في قصور الكتاب ، وهو أنه لم ينقل فيه شيئاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حكمه المعجزة الباهرة . وحياة رسول الله كانت مملأة بأحاديثه ، مملأة بأقواله التي دونها رجال الحديث والتي يتغنى بها المسلمون في الشرق والغرب . وعندى أن منشأ قصور الكتاب وعيبه جاءه من جهة اعتماده على المستشرقين الذين كتبوا حياة رسول الله عليه السلام . والمستشرقون لم يحيطوا بحياته إحاطة تمكنهم من أن يكتبوا فيها كتابة تقارب الصواب . ولو أنه اعتمد على علماء المسلمين لسلم من بعض ذلك وقبل القاء القلم لا أنسى أن أقيد هنا ما يأتي :

أولاً - شكر جريدة الكوكب على نشر هذه الحقائق العلمية ثانياً - أنا حسن الظن بالدكتور . أرى أن ما وقع فيه من أغلاط لم يكن صادراً إلا عن حسن نية وأى إنسان مبرأ من الغلط ، ولكن من الناس المقارب ومنهم المباعد . ولهذا اعتقد أنه سوف يسره ما يواجهه من نقد بريء وسوف يستفيد منه

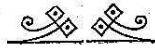
ثالثاً - أرى هذا الكتاب ، مع ما ذكرنا ، مفيداً لأناس كثيرين ، مفيداً لقوم يحسبون الاحاد هو كل شيء في هذا العصر ، مفيداً لقوم يحسبون التدين والايان مقصورين على العامة والجهلاء ، وما حسبو

أن رجلاً مثقفين عصريين « كهيكل » يحرصون على الدين وعلى
الايان . وكم يسرنا أن يقتدى كتابنا الأعلام ، أمثال الدكتور طه حسين
والأستاذ العقاد والأستاذ المازني ، بهيكل ولو أنهم فعلوا ذلك لآمن
الناس جميعاً أو لآزداد الاقبال على الدين

رابعاً - لا ندرى لماذا لم نسمع من علماء الأزهر ، أولئك الذين
يغضبون للوسيلة وللطواف بالأضرحه ، والذين يغضبون على الوهابيين
ويكيلون لهم من السب والايذاء ما هم به عالمون ، صوت نقدوا انكار على
هذا الكتاب ، وفيه ولا شك مما لا يرضاه هؤلاء الشيء الكثير . ألا
يكون هذا دليلاً على اشتغال القوم بالدنيا عن كل شيء حتى عن العقيدة
وحتى عن انكار ما ينكرون ؟

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين ، وأن يبعدهم عن مواضع الفتن
والفتون ، وأن يجعلهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

عبر الله على النجوى القصصى



فهرس

صفحة	صفحة
٥١	١
٥١	١٤
٥٢	١٥
٥٢	١٦
٥٣	١٧
٥٣	١٩
٥٤	٢١
٥٤	٢٢
٥٦	٢٣
٥٨	٣٤
٥٨	٤٣
٥٩	٤٤
٦٠	٤٦
٦١	٤٧
٦٢	٤٧
٦٢	٤٨
٦٣	٤٩
٦٦	٥٠
٦٧	٥٠